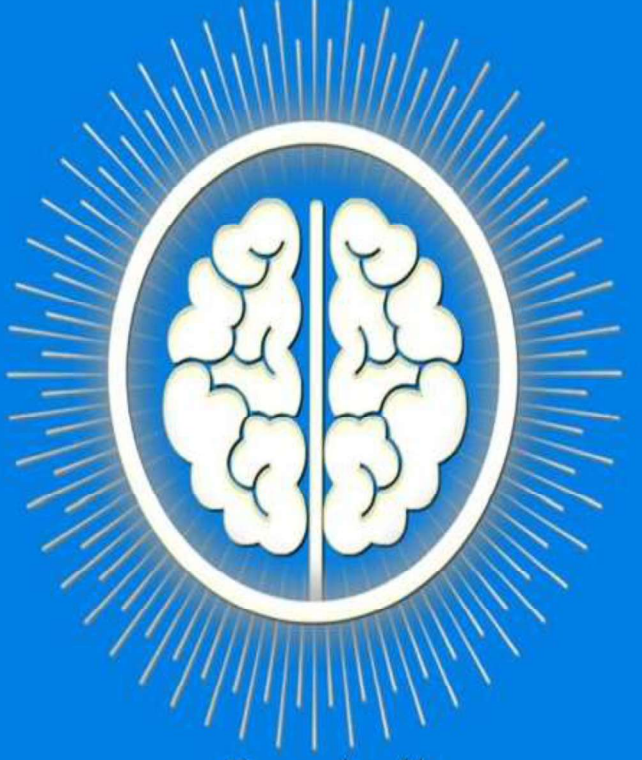

الطريق
إلى عقل ديني مستنير

قراءة في مشروع « الدكتور محمد الخشت » لتجديد الخطاب الديني

الدكتور محمود خليل

الأستاذ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

bookrawabet

الطريق إلى عقل ديني مستنير

قراءة في مشروع

الدكتور محمد الخشت لتجديد الخطاب الديني

محمود خليل

rawabt روابط
للنشر وتقنية المعلومات

فهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشئون الفنية

خليل، محمود
الطريق إلى عقل ديني مستنير قراءة في مشروع الدكتور محمد الخشت لتجديد الخطاب الديني
روابط للنشر وتقنية المعلومات
17 × 24 سم
تدمك: 9789778688559
رقم الإيداع: 32301/2024
1 ـ الإسلام ـ حركات الأحياء والإصلاح والتجديد
أ ـ العنوان 219

دار النشـــر:	روابط للنشر وتقنية المعلومات
عنوان الكتاب:	الطريق إلى عقل ديني مستنير قراءة في مشروع الدكتور محمد الخشت لتجديد الخطاب الديني
الـكـاتـب:	محمود خليل
رقم الطبعة:	الأولى
تاريخ الطبع:	2025

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

يحظر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

rawabt روابط
للنشر وتقنية المعلومات
For Publishing & Information Technology
(+2) 010 65 777 233 - (+202) 26440845
(+2) 010 65 777 233 - 010 107 52 703
info@rawabtonline.com
rawabtonline.com
buru.rawabt buru.rawabt buru.rawabt buru.rawabt

الطريق إلى عقل ديني مستنير

قراءة في مشروع
الدكتور محمد الخشت لتجديد الخطاب الديني

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الفصل الأول:الإطار المنهجي لدراسة قضية تجديد الخطاب الديني	١٣
تمهيد	١٥
أهمية تحليل تجارب تجديد الخطاب الديني	١٦
أهداف الدراسة	٢٣
منهج الدراسة وأدواتها	٢٤
أدوات جمع البيانات وتحليلها	٢٤
مجتمع الدراسة وعينتها	٣٠
الفصل الثاني: مفهوم الخطاب الديني ونظريات تحليله	٣١
تمهيد	٣٣
أولًا– مفهوم "تجديد الخطاب الديني"	٣٤
أ–المفهوم العام للخطاب	٣٤
ب– مفهوم الخطاب الديني	٤١
ج– المفهوم العام لـ "تجديد الخطاب الديني"	٤٣
د– مفهوم تجديد الخطاب الديني في الدراسة الحالية	٤٧
ثانيًا– تيارات تجديد الخطاب الإسلامي	٤٧
أ–التجديد من منظور "إحياء التقليدي"	٤٧
ب– التجديد من منظور إحياء المهمش	٥٠

ج- التجديد من منظور "الإصلاح الاجتماعي والعصرنة"	٥٨
الفصل الثالث: الطريق إلى خطاب ديني عصري نتائج تحليل مشروع تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور "محمد الخشت"	٦٩
تمهيد	٧١
أولًا- المنطلقات الفكرية لخطاب التجديد لدى "محمد الخشت"	٧٢
أ-التجديد يبدأ من التسليم بفكرة "عدم تقديس البشري"	٧٢
ب-التجديد يبدأ من "تفسير النص الديني في ضوء الواقع المتغير"	٧٧
ج- التجديد يبدأ بـ"تحرير العقل النقدي من قيوده"	٨١
د-التجديد يبدأ من "الاهتمام بإثارة فكرة الشك المنهجي"	٨٨
هـ-التجديد يعني "ضرورة تفكيك الخطاب الديني التقليدي"	٨٨
و-التجديد يعني "الوعي بمخاطر العقل المغلق"	٩٣
ز-التجديد يعني "الرجوع للنص الأصلي والبعد عن التأويلات المغرضة"	٩٥
ح-التجديد يعني "إعادة البحث في مقاصد الدين"	٩٥
ط-التجديد يعني "عدم التسليم بصحة الرأي الفقهي لفصيل أو تيار إسلامي"	١٠٠
ي- التجديد لا يمس ثوابت الإسلام	١٠٤
ثانيًا- المنطلقات المنهجية لخطاب التجديد لدى "محمد الخشت"	١٠٧
"العقلانية في النظر إلى الموروث"	١٠٧
"المنهج النقدي في النظر إلى الموروث"	١٠٩
ج- "تفسير العقيدة في حدود العقل البرهاني"	١١٠

د- "الاعتماد على المداخل البرهانية لا الجدلية في الاستدلال"	١١٥
هـ- "البحث في فلسفة جديدة للدين"	١١٨
و- "النظرة الدينامية إلى النص الديني"	١٢١
ثالثًا- شبكة مصطلحات ومفاهيم تجديد الخطاب لدى "محمد الخشت"	١٢٢
رابعًا: العلاقة بين شبكة المصطلحات والمفاهيم داخل خطاب التجديد لدى "محمد الخشت"	١٢٦
خامسًا- الأطروحات الأساسية في خطاب التجديد لدى "محمد الخشت"	١٢٨
سادسًا- قضايا التجديد في خطاب "محمد الخشت"	١٤٠
سابعًا- القوى الفاعلة في تجديد الخطاب الديني لدى "محمد الخشت"	١٤٣
ثامنًا- وصف القوى الفاعلة والأدوار المسندة لها في خطاب "محمد الخشت"	١٤٤
خاتمة	١٤٩

مُقَدِّمَة

قضية تجديد الخطاب الديني من القضايا القديمة المتجددة على خريطة عقل ووجدان المصريين، منذ مرحلة مبكرة من القرن التاسع عشر. فبعد سنين طويلة من الجمود عاشها هذا الخطاب في ظل الحكم المملوكي/ العثماني، واجه المصريون صدمة حضارية مزلزلة خلال الحملة الفرنسية (١٧٩٨- ١٨٠١)، كان من بين تداعياتها دفع النخب الفكرية وصناع القرار إلى مراجعة عديد من المفاهيم التي يشتمل عليها الخطاب الديني، وطرح فهوم جديدة لها تخالف الدلالات والمعاني التي انطوت عليها خلال عصر الجمود المملوكي/ العثماني. وقد أخذت محاولات التجديد -منذ ذلك الحين- منحيين أساسيين: منحى الإحياء للمهمش في التراث الإسلامي، وتركز هذا المنحى في إحياء ونفض الغبار عن كثير من الأفكار التي طرحتها "مدرسة المعتزلة" وبعض الفلاسفة المسلمين مثل "ابن رشد" الذين تبنوا المنحى العقلانى والإعلاء من

المنطق في فهم النصوص الدينية، كما تبنوا منحى الاجتهاد في إنتاج فهوم جديدة لبعض المفاهيم المركزية داخل الخطاب الديني، واستهدف هذا المنحى تصحيح الفهوم الخاطئة لبعض المسائل والمفاهيم الدينية، سواء الموروثة عن العهدين المملوكي والعثماني، أو المخترعة بواسطة الفقهاء المتجمدين على ثقافة ذلك العصر.

وقد بدأت رحلة تجديد الخطاب الديني تأخذ خطها العلمي المنضبط مع تأسيس جامعة القاهرة عام ١٩٠٨، وأغلب الأسماء التي تموضعت على خريطة تجديد هذا الخطاب تنتمي –في الأغلب– إلى جامعة القاهرة، بدءًا من أحمد لطفي السيد، ومرورًا بعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وأمين الخولي، ومحمد أحمد خلف الله، ونصر حامد أبو زيد، وغيرهم حتى وصل قطار التجديد إلى الدكتور محمد الخشت. ومن اللافت أن تجربة الدكتور "الخشت" تستند إلى المنحيين الأساسيين اللذين شكلا فيما بينهما منهجية لتجديد الخطاب الديني، طيلة القرنين التاسع عشر والعشرين، وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين. فهو يضع عينًا على "المهمش العقلاني" في التراث الإسلامي ويجتهد في دفعه إلى الأمام، وعينًا على تقديم فهوم جديدة لبعض المفاهيم المركزية داخل الخطاب الديني، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة داخل العقل الديني المصري.

ويركز هذا الكتاب –بصورة خاصة– على مشروع تجديد الخطاب الديني الذي اجتهد في بلورة معالمه الدكتور محمد الخشت على مدى عدة

عقود، فأخضعه للفحص والبحث بهدف استخلاص الرؤية الحاكمة له وخريطة ملامحه ومعالمه، وذلك من خلال تحليل ما قدمه المفكر المجدد من مؤلفات، أو أوراق بحثية، أو مقالات صحفية، أو مقابلات إعلامية، بصورة تمكننا من أن نضع أيدينا على أهداف المشروع وغاياته، ومساحات التجديد التي انشغل بها، وشبكة المفاهيم الرئيسية والفرعية التي تحلق حولها، ومجموعة الأطروحات التي استند إليها، ووسائل وأدوات المشروع في التجديد، والقوى الفاعلة (أفرادًا ومؤسسات) المسؤولة عن إنجاز مهمة التجديد، والأدوار التي يتوجب عليها القيام بها، والمعوقات التي تحول بينها وبين تحقيق هدفها.

وقد اختار الكتاب أن يتصدى بالتحليل لمشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت"، نظرًا لما يتميز به هذا المشروع من تكاملية واتزان منهجى، مقارنة بمشروعات التجديد التي أنتجتها النخبة الجامعية على مدار العقود الماضية، وتتجلى هذه التكاملية على مستوى المنطلقات النظرية والمنهجية المؤسسة له، والمفاهيم والأطروحات التي تنسج أفكار التجديد التي يشتمل عليها. هذا بالإضافة إلى انطلاق المشروع من تعريف دقيق ومنضبط ومتوازن لمفهوم التجديد، يؤكد على حقيقة أن "التجديد" لا يعني بحال تبديلا أو تغييرا في جوهر الدين أو أصوله، "إنما يعني إعادته إلى النقاء الذي كان عليه يوم نشأته، حيث الأصالة الفكرية لأركانه وثوابته، أي تجديد الإيمان والالتزام بتعاليمه الصحيحة بعيدا عما قد يعتريها من شوائب، فتجديد الدين يعني: القدرة على استيعاب مستحدثات العصر وما يحمله من

قضايا لم تكن معروفة من قبل، وتحتاج إلى بيان موقف الشريعة منها، ويتم ذلك من خلال الاجتهاد، سواء كان فرديا أو جماعيا.

ويعتمد الكتاب في تحليل مشروع التجديد لدى "الخشت" على خطة منهجية محكمة، يتصدى الفصل الأول لشرحها وتوضيح أبعادها، وعلى تحديد دقيق لمفهوم الخطاب بشكل عام، والخطاب الديني بشكل خاص، وشرح لمقاصد ودلالات مصطلح تجديد الخطاب الديني، وذلك في الفصل الثاني منه. وتأسيسًا على ذلك يقدم الفصل الثالث من الكتاب عرضًا شاملًا لكافة جزئيات وجوانب مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت"، على مستوى المنطلقات الفكرية والمنهجية، والمفاهيم والأطروحات، والوسائل والأدوات، والقوى الفاعلة والقوى المعوقة لعملية التجديد.

أتوقع أن يجد القارئ الكريم في هذا الكتاب إجابات لعديد من الأسئلة التي قد تقفز في ذهنه حول قضية تجديد الخطاب الديني، كما أتوقع أن تثير الأفكار التي ينطوي عليها محتواه كثيرًا من الأسئلة والاستفهامات لديه، خصوصًا فيما يتعلق بإمكانية تفعيل أفكار التجديد في الواقع الشعبي العام. وتظل قيمة أي منتج فكري محددة في قدرته على تقديم إجابات بقدر ما يثير من أسئلة.

والله ولي التوفيق

المؤلف

أ.د. محمود خليل

أستاذ بكلية الإعلام- جامعة القاهرة

الفصل الأول

الإطار المنهجي

لدراسة قضية تجديد الخطاب الديني

تمهيد

أهمية تحليل تجارب تجديد الخطاب الديني

أهداف الدراسة

منهج الدراسة وأدواتها

أدوات جمع البيانات وتحليلها

مجتمع الدراسة وعينتها

الفصل الأول
الإطار المنهجي
لدراسة قضية تجديد الخطاب الديني

تمهيد:

يتناول هذا الفصل الإطار المنهجي للدراسة بأبعاده المختلفة، سواء ما يتعلق منها بأهمية الدراسة، أو الكيفية التي تناولت بها الأدبيات العلمية إشكالية تجديد الخطاب الديني، والجديد الذي تقدمه هذه الدراسة مقارنة بهذه الدراسات، ثم ننتقل إلى عرض مشكلة الدراسة، وتساؤلاتها، وأهدافها.

ويختتم الفصل بتوضيح المناهج التي تعتمد عليها الدراسة، والأدوات البحثية التي توظفها، والإجراءات المنهجية لبنائها، والفئات والمحاور التي تشتمل عليها، مع تعريف وحدات التحليل، وتحديد مجتمع الدراسة وعينتها.

أهمية تحليل تجارب تجديد الخطاب الديني:

في سياق فكري عام تشوبه نزعات دخيلة لا تفتأ تعكر صفو الوسطية التي ينماز بها مجتمعنا المصري، مستندة في جانب بارز منها لما تعده من قبيل المرجعية الدينية، فيقدم أصحابها أنفسهم باسم الدين ويتحدثون على لسانه، في خلط واضح بين جوهر النص وآليات فهمه وتأويله التي قد تكون على النقيض تمامًا من صحيح مراده الذى لا يتعارض فيه صحيح النقل مع صريح العقل بعبارة علمائنا القدامى. أقول في سياق كهذا يتعين علينا أن نعيد تمحيص ما أنجزته محاولات تجديد الخطاب الدينى، من منظور تأسيس على قناعة مؤداها أن المجمل العام يعد تجديد الخطاب الديني "ضرورة" تثبتها الدراسات التي تصدت لتحليل تجارب التجديد، وحاجة واقعية تفرضها العديد من الظروف السائدة داخل المجتمعات المسلمة وخارجها. وعلى المستوى التفصيلي تتعدد الأسباب التي تبرر الاهتمام بتجديد الخطاب الديني، لعل أبرزها: حالة الاختزال والنمطية التي تعاني منها صورة الإسلام حاليًا، ومحاولة الغرب تنميطها في نطاق ثنائية (الإرهاب والتخلف)، وأهمية التجديد كأداة لتجاوز محنة التطرف والتشدد الفكري المرتبط بانتشار أفكار الإسلام الجماعاتي، وضرورة تجديد الخطاب ليتماشى مع معطيات ثقافة العصر.

وقد عددت الأدبيات العلمية المسارات التي يجب أن تسير فيها جهود تجديد الخطاب الديني ومن بينها: تكريس ثقافة التسامح والتعايش

السلمى للحد من استفحال التطرف، وأن تنطلق عملية التجديد من احترام الأصول والثوابت والنصوص القطعية، مع الاجتهاد المنضبط بالنقل والعقل لمواكبة ما يستجد من قضايا، ومراعاة أن قضية التجديد تقع بين (الثوابت والمتغيرات)، وأن النص الديني الموحى به يعد مرجعية لكل أنواع الخطابات الدينية السابقة أو المعاصرة، إلا أن التعامل معه يتم وفقا لقراءات متغايرة، وطبقا لمنهجيات متباينة أملتها المصالح وظروف الزمان والمكان.

وثمة عديد من القضايا والموضوعات التي يجب أن تنصرف إليها جهود التجديد، يأتي على رأسها: طرح مفهوم جديد لعلاقة المسلمين بالله، ومفهوم جديد لعلاقتنا بالذات، ومفهوم جديد لعلاقتنا بالآخر، ومفاهيم لعلاقة جديدة بين الدين والحياة، أساسها تكريس قيم التنوير والحضارة وليس الظلمة والتخلف، ورفض أي وصاية على العقل، وتحرير المرأة، وتجديد مفهوم العلاقة بين الدين والسياسة وإفساح المجال للنخب الفكرية التي تحاول تجديد الشكل التقليدي لهذه العلاقة، وضرورة ألا يقتصر تجديد الخطاب الديني على ما يتعلق بالشعائر والعبادات الدينية كالصلاة والصيام والحج والزكاة، بل يتطرق إلى المعاملات والأمور الحياتية.

وتكشف دراسة استطلاعية أجريت على أطروحات تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور "الخشت" ارتكاز مشروع التجديد لديه على عدد من الأسس؛ تشمل: وضع صورة فقهية ناصعة أمام المسلم حتى يكون على

بينة من دينه فقهيًّا، والوقوف على فقه المرأة بصورة خاصة كمظهر من مظاهر التكريم والاحترام التي قدمها الإسلام للمرأة، وتوظيف الفقه في معالجة الأحداث الجارية أو ربط الفقه بالمستجدات الراهنة في وطننا وأمتنا والعالم أجمع، بحيث يكون مشاركًا في مواكبة التحديات والتطورات التي أفرزتها ظروف العصر، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام في القضايا الفقهية التي أثيرت في العصر الراهن، وحث المسلم على تزويد نفسه علميًّا، وعلى بناء شخصية مسلمة تتمسك بصحيح الدين في بناء مجد شخصي للفرد والمجتمع، وتقديم حلول فاعلة في عدة جوانب: اجتماعية وسياسية وثقافية وإنتاجية تسهم في بناء المجتمع على أسس دينية نقية وبريئة من الاختلافات، والتأكيد على جانب المعاملات، حيث جعلها سواء بسواء مع جانب العبادات وأفرد لها مساحة أكبر، إيمانا منه بأن المؤمن الحق تكون معاملاته تطبيقا فعليا لعباداته، وترسيخ وحدة المجتمع وعدم تفريقه بين الرجل والمرأة في العبادات والمعاملات، وكذلك بين المسلم والمسيحي في الحقوق والواجبات أيضا، والوسطية في التوجهات الفقهية، والتي كان يسير عليها في كل إنتاجه الفكري فقهيا وفلسفيا وسياسيا.

وتسد مجموعة الأسس والتوجهات التي تحكم مشروع "الخشت" لتجديد الخطاب الديني العديد من الثغرات التي كشفت عنها الأدبيات العلمية، التي تصدت لتحليل تجارب التجديد، مما يبرز قيمة وجدوى الدراسة المتعمقة والتحليل المتأني لمشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" من جانب، ويؤكد – من جانب آخر– ضرورة البناء على ما

انتهت إليه مثل تلك المقاربات المنهجية الجادة من نتائج، يمكن أن تتخذ منطلقت تتأسسس عليها طروحات أخرى.

إشكالية الدراسة وأسئلتها:

إشكالية هذه الدراسة غير بعيدة في جوهرها عن الإشكالية المحورية التي تؤرق مادتها وموضوع قراءتها. ذلك أن إشكالية هذه الدراسة متصلة بسبب قوى لجوهر الإشكالية الرئيسة التي أرقت مشروع الخشت في تجديد الخطاب الدينى. وغير خافٍ أنه مشغول بتجاوز الفهم التقليدي لفعل التجديد قناعة بعجزه عن تقديم فهم ناجز في تجاوز المعضلة التي تؤثر مجتمعاتنا العربية.

ومعلوم أن محمد الخشت يعد رائد علم فلسفة الدين في العالم العربي، وذلك منذ ظهور كتاباته الأولى التي أسست لهذا التخصص، بداية التسعينيات من القرن العشرين، حين مهد كتابه "مدخل إلى فلسفة الدين" (١٩٩٣) لذلك، عبر التمييز بين العناصر العقلانية وغير العقلانية في الأديان، وتكاملت رؤيته، المستندة إلى المنهج العقلاني النقدي، في كتبه: المعقول واللامعقول في الأديان، تطور الأديان، ونحو تأسيس عصر ديني جديد، والعقل وما بعد الطبيعة، وموسوعته معجم الأديان العالمية[١(*)].

١- مراد وهبة (٢٠١٩)، **"فيلسوف التجديد والمواطنة.. محمد الخشت"**، ط١، القاهرة: اليونسكو، ص٢.

(*): تم الرجوع إلى عدد من مواقع الإنترنت المبينة لتوثيق ما يتعلق بالمعلومات المجمعة حول السيرة الذاتية لرائد تجديد الفكر الديني د. محمد الخشت وكانت على النحو التالي:

جمعت مؤلفات "الخشت" بين التعمق في التراث الإسلامي والفكر الغربي، حيث تقدم أعماله رؤية جديدة لتاريخ الفلسفة الغربية تتجاوز الصراع التقليدي منذ بداية العصور الحديثة. كما تميزت مُؤلفاته أيضًا بالجمع بين المنهج العقلي والخلفية الإيمانية، وغزل منهج جديد في فنون التأويل يجمع بين التعمق في العلوم الإنسانية والعلوم الشرعية وتاريخ الأديان والفلسفة. وبلغت مُؤلفاته (٤١) كتابًا منشورًا، و(٢٤) كتابا مُحققًا من التراث الإسلامي، و(٢٨) بحثًا علميًا منشورًا في مجلات محكمة، و(١٢) دراسة منشورة في مجلات عربية[١].

وبناء على ما سبق نخلص إلى أن الدكتور "الخشت" يعد من المجددين المعاصرين الذين اعتبروا العقل الأداة الأنجح لتطوير الفكر الإسلامي؛ حيث طرح فكرة تطوير الخطاب الديني، وذهب إلى أن الأداة

=- محمد الخشت.. فيلسوف مُعاصر رئيسًا لجامعة القاهرة، تقرير، ١٩ أكتوبر ٢٠١٨، **موقع مصر العربية**.

- قرار جمهوري بتعيين «الخشت» رئيسًا لجامعة القاهرة.. وبدء عمله الثلاثاء، تقرير ١٤ أغسطس ٢٠١٨ على موقع **واي باك مشين**.

- رئيس جامعة القاهرة الجديد.. أحد رواد علم فلسفة الأديان وأولويته صياغة الخطاب الديني وليس تجديده، تقرير، **بوابة الأهرام**، ١٤ أغسطس ٢٠١٨.

- نشر السيرة الذاتية لرئيس جامعة القاهرة الجديد، تقرير، **موقع المواطن**، ١٦ يوليو ٢٠١٨.

- الخشت يمارس عمله نائبا لرئيس جامعة القاهرة بقرار من مجلس الوزراء، تقرير، ١٧ ديسمبر ٢٠١٩، **موقع مصر العربية**.

- ١٢ معلومة عن "الخشت" رئيس جامعة القاهرة الجديد، تقرير، ٢١ أكتوبر ٢٠١٧، **موقع واي باك مشين**.

١- غيضان السيد علي (٢٠١٣)، **"عقلانية بلا ضفاف"**، ط١- القاهرة: دار الكتاب العربي، ص٣.

الأساسية للتطوير تتحدد في التفكيك العقلاني للأفكار الجامدة داخل العقل المسلم. فالدين نفسه لا يتجمد لكن الذي يتجمد هو العقول التي تفسر النصوص القرآنية والنبوية الواضحة والمباشرة بأيديولوجيات عقيمة تجمدت معها المنظومة العقائدية والتشريعية في كهنوت بشري يتخفى في ثوب إلهي. ومن هنا يتبنى "الخشت" منهجية تستند إلى نقد البشري وعدم التنكر للإلهي، بهدف الوصول إلى الدين في حالته الطبيعية الأولى[١].

ولا تتوقف عملية تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" عند مضمون الخطاب ومحتواه، وإنما يتجاوز ذلك إلى هيكل الخطاب وشكله. فلم يكن من أولئك النفر الذين يريدون خطابا دينيًّا في جعبته التهاون في تكاليف الشرع، أو من يريدون الوقوف عند ما هو غريب وشاذ ومختلف عليه من الأقوال المنسوبة إلى العلماء، حيث لم يستند "الخشت" إلى الضعيف أو الغريب، فقد كانت النصوص الشرعية هي المعتمد لا لشيء إلا لأنها الحق المنزل من عند الله تعالى[٢].

في هذا الإطار تتحدد مشكلة هذه الدراسة في الإجابة على عدد من التساؤلات الكاشفة عن أبعاد مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" على مستوى الأهداف، والأدوات والوسائل، والأطروحات والمفاهيم،

١- محمد الخشت (٢٠٢٠)، **"نحو تأسيس عصر ديني جديد"**، ط٢، القاهرة، نيوبوك للنشر والتوزيع.

٢- حسن الصفار (٢٠٠٧)، **"الخطاب الإسلامي وحقوق الانسان"**، المقدمة، ط١، المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص ص١-٢.

ومسارات البرهنة، والقوى الفاعلة.. وتتحدد هذه التساؤلات في:

١- ما أهم ملامح تجربة تجديد الخطاب الديني التي تبناها الدكتور الخشت وأهدافها، مقارنة بالتجارب التي تبنتها رموز أخرى من النخبة الجامعية؟

٢- ما أبرز الأطروحات التي اشتمل عليها مشروع تجديد الخطاب الديني.. وكيف تطورت بنيتها ومحتواها خلال الفترات الزمنية المختلفة؟

٣- إلى أي حد استطاعت أطروحات تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" تفكيك مقولات وأفكار خطاب التطرف وحماية العقل الديني العام من تأثيراته السلبية؟

٤- إلى أي حد شكلت أطروحات تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" تحديًا للمقولات والأفكار الموروثة عن كتب التراث الإسلامي؟

٥- ما أبرز المنطلقات الفكرية لأطروحات تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور "الخشت" وكيف تتكامل معًا في رسم تصوره حول التجديد؟

٦- ما أبرز المنطلقات المنهجية لأطروحات تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور "الخشت"؟

٧- كيف تشكلت شبكة المفاهيم الرئيسة والفرعية لتجديد الخطاب الديني داخل تجربة "الخشت"؟

٨- ما مسارات البرهنة التي اعتمدت عليها أطروحات "الخشت" في تجديد الخطاب الديني؟

٩- كيف يتصور مشروع التجديد لدى "الخشت" أدوار القوى الفاعلة (الأفراد والمؤسسات) في تجديد الخطاب الديني؟

١٠-كيف تلعب القوى الفاعلة –من وجهة نظر "الخشت"– دورًا في دفع عملية تجديد الخطاب الديني أو تعويقها؟

١١-كيف يتصور مشروع التجديد لدى "الخشت" طرق ومسارات التعامل مع المعوقات التي تحول دون نشر أطروحات تجديد الخطاب الديني على المستوى الجماهيري؟

أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس لهذه الدراسة في وصف وتحليل أبعاد مشروع تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور محمد الخشت بشكل يؤدي إلى تقديم رؤية متماسكة ومحددة لأبعاده، تمكن المؤسسات المسئولة عن تجديد الخطاب الديني من الاستفادة منه. ويتفرع عن هذا الهدف عدة أهداف تفصيلية تتمثل في:

١- استخلاص الأطروحات التي أفرزها مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت".

٢- وصف خريطة المفاهيم الرئيسة والفرعية التي تنتظم حولها رؤية الدكتور "الخشت" في تجديد الخطاب الديني.

٣- تلمس الحقول المعرفية بينية الرؤية التي تعاملت معها أطروحات التجديد ومفاهيمه لدى "الخشت" (الحديث- التفسير- الفقه- التاريخ

الإسلامي– السيرة النبوية).

٤– وصف وتحديد المحاور الموضوعية التي درات حولها محاولات التجديد (المرأة/ علاقة المسلم بالآخر/ الجنسية الوطنية وعلاقتها بالانتماء الديني وغير ذلك).

٥– تحليل الأساليب الإقناعية والحجج ومسارات البراهنة التي استند إليها "الخشت" في تقديم أطروحاته في تجديد الخطاب الديني.

٦– تحليل القوى الفاعلة التي يبرزها خطاب التجديد كقوى مسؤولة عن تحقيق أهداف تجديد الخطاب الديني.

٧– استخلاص السمات والأدوار المنسوبة إلى القوى الفاعلة في عملية تجديد الخطاب داخل مشروع "الخشت"

منهج الدراسة وأدواتها:

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على منهج المسح، ويُعنى هذا المنهج بدراسة الظواهر التي لم تزل تمارس تأثير على الواقع المعاش، ويعتمد على جمع كافة البيانات والمعلومات المتاحة حول ظاهرة معينة، التي يمكن استخدامها في وصفها وتحليلها. ويتم تطبيق منهج المسح في هذه الدراسة في مستواه المتعلق بمسح الرسالة، وتتحدد في محتوى الدراسات والبحوث، والمؤلفات، والمضامين الصحفية المعاصرة، والحوارات التليفزيونية، التي قدمها الدكتور "الخشت"، وعالجت قضية تجديد الخطاب الديني.

أدوات جمع البيانات وتحليلها:

وتتمثل في مجموعة من الأدوات التي تتكامل فيما بينها لاستكشاف كافة أبعاد وزوايا تجديد الخطاب الديني، وتتحدد هذه الأدوات في:

١- أداة تحليل المضمون: باعتبارها أداة تمنحنا القدرة على الحصول على وصف كمى منتظم للوحدات الموضوعية المختلفة ذات الصلة بمنظومات تجديد الخطاب الديني.

٢- أداة تحليل حقول دلالة المفاهيم: ويتم توظيف هذه الأداة لرصد نوع المفاهيم (المواتية / المعاكسة) لتجديد الخطاب الديني، وهو ما يمنحنا الفرصة لكشف طبيعة توظيف المفاهيم المختلفة داخل النصوص المشكّلة لخطاب تجديد الخطاب الديني.

٣- أداة تحليل القوى الفاعلة: وذلك لرصد خصائص تقديم مختلف الفاعلين داخل الخطاب، وفقًا لاختلاف خصائصهم النوعية والثقافية والأدوار المسندة إليهم.

٤- أداة تحليل مسارات البرهنة: وتساعد هذه الأداة في تقديم رؤية موضوعية عن عملية تبرير الأفكار والأطروحات ذات الصلة بتجديد الخطاب الديني، وتمدنا بوسائل رصد منطلقاتها الفكرية وإحالاتها المرجعية.

بناء أداة تحليل الخطاب:

تم تحديد محاور وفئات التحليل، وكذلك وحدات تحليل الخطاب، وإجراءات اختبار ثبات وصدق التحليل على النحو التالي:

أ- بناء محاور وفئات الأداة:

يعتمد تحليل خطاب التجديد الديني لدى الدكتور "الخشت" على عشرة محاور، يتفرع عن كل محور منها عدد من الفئات، وذلك على النحو التالي:

١- المنطلقات الفكرية للتجديد:

يتم في إطار هذا المحور استخلاص المنطلقات الفكرية للتجديد، ونقصد بالمنطلقات الفكرية: المقدمات الأساسية أو الكليات الفكرية التي يتأسس عليها الطرح؛ من النماذج على هذه المنطلقات (أو المبدئيات):

- التجديد يعكس حرية العقل الإنساني.
- التجديد يعني عدم قوامة جيل من المسلمين على غيره من الأجيال.
- التجديد لا يمس ثوابت الإسلام.
- تجديد الخطاب الديني جوهره النقل والعقل.
- تجديد الخطاب الديني محدود فقط بحدود العقل.
- التجديد يعكس احتياجات الواقع.
- التجديد يعني التخلي عن الموروث.. باستثناء القرآن الكريم.

٢- المنطلقات المنهجية للتجديد:

يتم في إطار هذا المحور استخلاص المنهجيات (منهجية أو أكثر) أو المداخل العلمية التي يعتمد عليها الخطاب في الوصول إلى أطروحات التجديد.. ومن نماذج هذه المنهجيات:

- التبني المباشر لآراء بعض المدارس المهمشة في الموروث الإسلامي (مثل المعتزلة أو ابن رشد): (تحدد المدرسة والأفكار التي تم استدعاؤها منها).

- تبني النهج العقلاني في النظر إلى الموروث وطرح أفكار التجديد: بمعنى الاحتكام إلى البرهان العقلي في قبول أو عدم قبول أطروحات التراث، والاستناد إليه في تقديم أطروحات جديدة بديلة.
- تبني النهج التوفيقي (بين التراث والمعاصرة) في طرح أفكار التجديد: بمعنى القبول بأطروحات التراث، ومحاولة التوفيق بينها وبين مستجدات العصر.
- تبني المدخل النقدي في النظر إلى الموروث: الاعتماد على النقد التحليلي لأفكار وأطروحات التراث التاريخي أو التراث الفقهي أو كتب الحديث.
- تبني نهج فقه الواقع في طرح أفكار التجديد: الانطلاق من احتياجات الواقع في رسم معالم رؤية التجديد.

٣- شبكة المصطلحات والمفاهيم:

يتم في إطار هذا المحور حصر مجموعة المفاهيم المركزية والفرعية التي يتحلق حولها الخطاب، ويعرف المفهوم الأساسي بكثرة الحضور والتكرار، أو بتعدد وتنوع الأطروحات المنبثقة عنه. وتم جمع هذه المصطلحات وتصنيفها (مفاهيم مركزية- مفاهيم فرعية) وربطها ببعضها، واستخلاص ملامح رؤية الكاتب لتجديد الخطاب عبر شبكة المفاهيم تلك.

٤- شبكة العلاقات بين المصطلحات المفاهيم:

على مستوى هذا المحور يتم استخلاص العلاقات التي تربط بين شبكة المفاهيم، وذلك على مستويين:

- العلاقة بين المفاهيم المركزية والمفاهيم الفرعية.
- العلاقة بين المفاهيم المركزية وبعضها.

٥- طبيعة المفهوم:

يتم تصنيف المفاهيم المركزية والفرعية لتحديد كينونتها وطبيعتها التي يمكن أن تكون:

- مفاهيم قديمة يتم إعادة صياغتها.
- مفاهيم مهمشة يتم استحضارها.
- مفاهيم مستحدثة يتم ابتكارها.

٦- الأطروحات الأساسية داخل كل مفهوم:

من المهم تحديد الأطروحات التي قدمها المجدد في معالجة كل مفهوم من المفاهيم، ونقصد بالأطروحة الفكرة المتماسكة المبررة (بأدلة يطرحها الكاتب).

٧- البرهان على الأطروحة:

-القرآن الكريم.

-أحاديث نبوية.

-أحداث من التاريخ الإسلامي.

-أقوال فقهاء.

-أقوال فلاسفة.

-أقوال مفكرين إسلاميين.

٨- موضوع التجديد:

يوضح كل موضوع من هذه الموضوعات بكل مفرداته كما تظهر في خطاب التجديد:

- الفقه.
- العقيدة.
- الشريعة.
- الأخلاق.
- المعاملات.
- العبادات.

٩- القوى الفاعلة في إحداث التجديد:

- المسلمون ككل.
- النخب الفكرية.
- مؤسسة الأزهر.
- المؤسسات الدينية عمومًا.
- المؤسسة الجامعية.
- مؤسسة الإعلام.
- مؤسسة التعليم.

١٠- وصف القوى الفاعلة في إحداث التجديد وأدوارها:

- وصف القوى الفاعلة: وصف القوى الفاعلة بالإيجاب أو بالسلب.
- الأدوار المسندة إلى القوى الفاعلة: الأدوار التي يحددها الخطاب لكل قوة فاعلة في إحداث التجديد/ أو عرقلته.

وحدة التحليل وإجراءات اختبار صدق وثبات استمارة تحليل الخطاب:

تمثلت وحدة تحليل خطاب التجديد الديني داخل مشروع "الخشت" في "الفكرة"، كوعاء يحمل الأطروحة الخطابية ويقدم مبرراتها.

أما اختبار صدق الاستمارة ومستوى وفائها بتحقيق أهداف الدراسة، فقد تم من خلال تحكيمها، وتم تعديلها في ضوء ملاحظات الفريق المركزي[١]. أما اختبار الثبات فقد تم بين اثنين من الباحثين من الفريق المعاون لرصد معدل ثبات التحليل، وقد بلغت قيمته (٠.٩٠)[٢].

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتمثل مجتمع بحث الدراسة التحليلية في الصحف المصرية وما ظهر فيها من مقالات للدكتور "الخشت" تشتبك مع قضية تجديد الخطاب الديني، بالإضافة إلى الكتب والدراسات والحوارات التليفزيونية التي اشتبكت مع القضية نفسها خلال الفترة من ٢٠٠٠– ٢٠٢٠، وقد اعتمدت الدراسة على الحصر الشامل للمحتوى الذي قدمه الدكتور "الخشت" وتعلق بقضية تجديد الخطاب الديني.

١– شارك في تحكيم استمارة تحليل الخطاب:

- أ.د/ محرز غالي: الأستاذ بكلية الإعلام.
- أ.د/منى عبد الوهاب: الأستاذ المساعد بكلية الإعلام.
- د/ هاني محمد علي: المدرس بكلية الإعلام.
- د/ خالد زكي: المدرس بكلية الإعلام.
- د/نيرمين الصابر: المدرس بكلية الإعلام.
- د/ وسام هندي: المدرس بكلية الإعلام.

٢– الباحثان هما:

- أ/محمد خليل.. المدرس المساعد بكلية الإعلام.
- أ/ شيماء السكري: المدرس المساعد بكلية الإعلام.

الفصل الثاني

مفهوم الخطاب الديني ونظريات تحليله

تمهيد

أولًا – مفهوم "تجديد الخطاب الديني"

أ –المفهوم العام للخطاب

ب – مفهوم الخطاب الديني

ج – المفهوم العام لـ "تجديد الخطاب الديني"

د – مفهوم تجديد الخطاب الديني في الدراسة الحالية

ثانيًا – تيارات تجديد الخطاب الإسلامي

أ –التجديد من منظور "إحياء التقليدي"

ب – التجديد من منظور إحياء المهمش

ج – التجديد من منظور "الإصلاح الاجتماعي والعصرنة"

الفصل الثاني

مفهوم الخطاب الديني ونظريات تحليله

تمهيد:

يعرض هذا الفصل الإطار النظري للدراسة من خلال تحديد المفهوم العام للخطاب، والمداخل المختلفة لتعريفه، مع تناول المفهوم الذي تتبناه الدراسة الحالية للخطاب، ثم ينتقل الفصل إلى تحديد مفهوم "الخطاب الديني"، والمداخل المختلفة لدراسته، ثم يعالج المفهوم العام لتجديد الخطاب، والمفهوم الذي تتبناه الدراسة لهذه العملية.

يعالج الفصل بعد ذلك التيارات المختلفة لتجديد الخطاب الديني، وتشمل: التجديد من منظور إحياء التقليدي، والتجديد من منظور إحياء المهمش، والمسارات المختلفة التي سلكتها جهود التجديد على هذا المستوى، وتتمثل في مسار مراجعة التأويلات السائدة، ومسار إحياء فكر الحريات، ومسار إحياء الفكر العقلاني للمعتزلة، بالإضافة إلى مسار التجديد من منظور الإصلاح الاجتماعي والعصرنة.

أولًا– مفهوم "تجديد الخطاب الديني":

التحديد الدقيق لمفهوم وأبعاد تجديد الخطاب الديني (الإسلامي) يقتضي التحديد الدقيق لثلاثة مفاهيم أخرى فرعية: الأول هو المفهوم العام للخطاب، والثاني مفهوم الخطاب الديني، والثالث مفهوم التجديد، والمفاهيم التي تتبناها الدراسة الحالية على المستويات الثلاثة.

أ–المفهوم العام للخطاب:

تتعدد وتتنوع تعريفات "الخطاب" تبعًا لتعدد وتنوع المجالات المعرفية التي شكل "علم الخطاب" مجال اهتمام الباحثين فيها. فموضوع "الخطاب" شكل مساحة اهتمام أساسية لدى الباحثين في علوم اللغة، وكان أيضًا موضعًا لاهتمام الباحثين في مجالات معرفية أخرى (غير لغوية)، مثل الفلسفة والأدب والسياسة والإعلام.

فمصطلح الخطاب يشير إلى معان ودلالات متنوعة تبعًا لوجهة النظر التي يتم تناولها منه. فتقاطع عديد من الدراسات مع علم الخطاب والاهتمام به في مجالات معرفية متنوعة أدى إلى تنوع وجهات النظر في تحديد معني الخطاب تبعًا للتخصص[1].

ولما كان النص "لغة وأدوات تعبير"، وكان النص بما يشتمل عليه من عناصر لغوية موضوع "التحليل الخطابي"، فقد كان الباحثون اللغويون الأكثر اهتمامًا بالتحديد الدقيق لمفهوم الخطاب، والمداخل النظرية لتحليله، والمنهجيات المستخدمة في استكشافه.

1 - Yang. Wenxing & Sun. Ying (2010), "Interpretation of 'Discourse' from Different Perspectives: A Tentative Reclassification and Exploration of Discourse Analysis". **The International Journal - Language Society and Culture**. P234.

على مستوى التعريف قدم الباحثون في مجال اللغة عدة تعريفات للخطاب من بينها:

"الخطاب حالة تتعلق باللغة وتصفها بطريقة ما"[١] .

"يشمل الخطاب المكتوبات كما يشمل المنطوقات" [٢].

ويحدد كارتر (١٩٩٣) عدة دلالات لمصطلح "خطاب". فهو يشير أولًا إلى أن الخطاب يعني موضوعات يتم التعبير عنها بأدوات لغوية تستخدم في سياقات محددة. ويتم استخدام كلمة "خطاب" –ثانيًا– للدلالة على ما يُقال (مكتوبًا أو منطوقًا)، بينما تستخدم كلمة "نص" للدلالة على ما هو مكتوب[٣].

يوضح تراسك (١٩٩٩) أن الخطاب لا يقتصر على متحدث أو كاتب واحد، ولكنه يمكن أن يشمل التبادلات الشفهية أو المكتوبة التي ينتجها شخصان أو أكثر[٤].

ويرى "بوتر" أن "الخطاب يشتمل على الممارسات اللغوية التي تؤدي إلى خلق النصوص جنبًا إلى جنب مع الممارسات الاجتماعية والرؤى الذاتية لمنتجه. كما يتطرق إلى علاقات القوة بين المعرفة والذات والسلوك. فالخطاب يعبر عن مفهوم يتجاوز طرق التفكير وإنتاج المعاني

1 - Drid. Touria. (2010)" DISCOURSE ANALYSIS: KEY CONCEPTS AND PERSPECTIVES" . p. 659. (availble on) : **https://www.researchgate.net/publication/282184078**

٢- ميشيل فوكو. (١٩٧٩)، **"نظام الخطاب"**، ترجمة: مجدي سيلا، القاهرة، التنوير، ص ٢٣.

3 - Carter, R., (1993), "**Introducing applied linguistics**", Penguin English, P. 53.

4 - Trask, R.L. (1999), "**Key concepts in language and linguistics**", London: Routledge, P. 480.

إلى مكنون الوعي واللاوعي والحياة العاطفية للأشخاص الذين يستهدف صناع الخطاب التحكم فيهم"[١].

"وينظر أيضًا إلى الخطاب، وخاصة الخطاب المكتوب، كعملية تفاعلية بين المؤلفين من ناحية والقراء أو الجماهير من ناحية أخرى"[٢].

نخلص مما سبق إلى عدم وجود تعريف حاسم لمصطلح الخطاب في مجال علم اللغة. فهناك من يرى أن مفهوم الخطاب يتجاوز الجملة إلى النص ككل. وهناك من يرى أن مفهومه لا يعبر عن مجرد كلمات تظهر داخل جمل وتبلور معان من خلال حقول دلالية معينة. وهناك من يرى أن الخطاب هو وحدة دلالية لا تتبلور في الشكل اللغوي (الكلمة– الجملة) بل في المعنى العام الذي يمكن استخلاصه بالربط ما بين النص والسياق. وهناك من يرى أنه يشتمل على كافة أنواع الممارسات اللغوية (المنطوقة والشفاهية) و(الفردية والتبادلية).

وتأسيسًا على هذه الرؤى المختلفة لمفهوم الخطاب، نستطيع القول إن الباحثين في مجال اللغة لا يختزلون مسألة تحليل الخطاب في مجرد وصف العناصر اللغوية داخل النص، بل يهتمون بالعناصر ذات الصلة باللغة مثل السياق، والقوى الفاعلة التي تظهر داخل النص، التي تساعد في استخلاص المعاني من المادة الخطابية[٣].

1 - Potter. J. (2004), "**Discourse analysis**", In M. Hardy and A. Bryman (Eds.), Handbook of data analysis (pp. 607-624), London: Sage. P. 214.

2 - Widdowson, H. G. (2007), "Discourse analysis", Oxford. **Oxford University Press**, P. 12.

3 - Martin, J. R. & Rose, D. (2007), "**Working with discourse**", meaning beyond the clause (2nd Edition), London: Continuum, P. 312.

وتتنوع المداخل النظرية التي تبناها الباحثون اللغويون عند النظر إلى الخطاب وتحديد مسارات تحليله. وقد يكون من المفيد التعرض لها، قبل الإشارة إلى التعريف الذي تتبناه الدراسة الحالية لـ"الخطاب".

مفهوم الخطاب من منظور اللغويات الأنثربولوجية:

يدرس علم اللغة الأنثربولوجي العلاقة بين اللغة والثقافة، وكذلك العلاقة بين الإدراك واللغة. واهتم هذا العلم باكتشاف دلالات اللغة وتطبيقاتها داخل الخطاب. ويفترض هذا العلم أن الخطاب يجد جذوره في الأنشطة الاجتماعية، كما يرتبط بالأيديولوجيا السائدة وسلوك الناس. ومن ثم فالخطاب هو مجموعة من الأنشطة التواصلية أو الاجتماعية بين أفراد أو مجموعات اجتماعية معينة. وطبقًا لهذا المنظور تم تصنيف الخطاب إلى عدة أنواع مثل النكات والقصص والخطب والمحادثات. وثمة اهتمام خاص يوليه هذا المنظور لعملية الربط بين البنية السردية من ناحية والأحداث السردية من ناحية أخرى[1].

مفهوم الخطاب من منظور اللغويات الوظيفية:

يفرق علماء اللغويات الوظيفية بين مصطلحي الخطاب والنص. فالخطاب عملية دينامية متعددة الأبعاد، والنص هو الناتج الثابت لهذه العملية. ويعتمد أصحاب هذا المنظور على تفكيك العناصر اللغوية للنص

1 - Paltridge, B. (1997), **"Genre, frames and writing in research settings"**, Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. P. 23.

وربطها بسياقات الاستخدام والتداول بهدف التعرف على سمات الخطاب وطبيعته[١].

مفهوم الخطاب من منظور اللغويات المعرفية:

لا يركز أصحاب هذا المنظور على الكلمة أو الجملة كوحدات دلالية يمكن من خلالها استخلاص سمات وأطروحات الخطاب، بل ينظرون إلى النص بوصفه وحدة كلية يتشكل من خلالها الخطاب. فاللغويون المعرفيون يؤكدون أن الخطاب يتكون من ظواهر معرفية[٢].

مفهوم الخطاب من منظور اللغويات الاجتماعية:

يهتم علم "اجتماع اللغة" بدراسة اللغة في تفاعلاتها وسياقاتها الاجتماعية، ويهتم بتحليل كيفية تشكل اللغة وأساليب إعادة تشكيلها في خطاب الحياة اليومية. والخطاب من هذا المنظور هو وسيلة اتصال مهمة، يمكّن الناس من نشر جميع الأنشطة التواصلية[٣] .

مفهوم الخطاب في الدراسة الحالية:

يتأسس التعريف الذي تتبناه الدراسة للخطاب على مجموعة التعريفات التي قدمها الباحثون في مجال اللغة للمصطلح، والمسارات

1 - Yang&sum, 2010, Op.cit. p. 345.
2 - Ibid, p. 347.
٣ - Fasold, R. (1990), **"The sociolinguistics of language**". Oxford: Blackwell. P. 45.

المختلفة لتحليله. ويذهب هذا التعريف إلى أن:

" الخطاب يشمل كافة المكتوبات والمنطوقات اللغوية التي ينتجها فرد واحد أو يتشارك في إنتاجها عدد من الأفراد؛ بهدف بلورة مجموعة من الأطروحات حول قضية معينة، وتكتسب هذه الأطروحات معانيها لدى المتلقي من خلال تقديمها في سياقات معينة، وعبر تأثرها ببعض المؤثرات والضغوط التي يستجيب لها منتج الخطاب".

ويشير هذا التعريف للخطاب إلى ما يأتى:

١- يشمل الخطاب كافة الممارسات اللغوية ذات الصلة بقضية أو موضوع معين، ولا ينغلق على نوع واحد منها.

٢- تتبلور القضية التي يعالجها الخطاب عبر عدد من الأطروحات. ونعني بالأطروحة الفكرة المبررة القادرة على الإقناع من خلال الدور الذي تؤديه في البناء المنطقي للمادة الخطابية.

٣- تتبلور الأطروحة من خلال الوحدتين اللغويتين المتعارف عليهما (الكلمة والجملة)، بما يحملان من معان ودلالات تتجسد من خلالها الأطروحة.

٤- يعد السياق جزءًا لا يتجزأ من الخطاب، سواء بالمدلول اللغوي (الجملة كسياق للكلمة- والفقرة كسياق للجملة- والنص كسياق للفقرات) أو بالمدلول المجتمعي أو الظرفي الذي يؤثر في أساليب معالجة الأطروحات داخل الخطاب.

٥- يعد النص المادة الخام للخطاب، فعندما يتم تحليل المضمون الظاهر للنص بمعزل عن سياقات إنتاجه نكون بصدد نوع من "التحليل النصي"، وعندما يتم تفكيك النص إلى مجموعة من الأطروحات التي يتم تحليلها في سياق محدد نكون بصدد "التحليل الخطابي".

٦- تخضع عملية الإنتاج الخطابي لعدد من المؤثرات والضغوط، من بينها المؤثرات الذاتية لمنتج الخطاب، وضغوط السلطات الأعلى، وكذلك ضغوط الأفكار السائدة لدى الجمهور على الفرد أو المؤسسة المنتجة للخطاب.

ويرتكن هذا التعريف للخطاب إلى الرؤية التي قدمها إنجلر(٢٠٠٦) للخطاب، ويميز فيها بين الدراسات الثقافية والمقاربات اللغوية للخطاب. وتركز مناهج الدراسات الثقافية على الكيفية التي يتدخل بها الخطاب في تشكيل الموضوع أو الطرح المقدم للقضايا والموضوعات، في حين تشكل اللغة أدوات للتعبير وبلورة الأفكار والاطروحات داخل الخطاب[1].

ويعد هذا التعريف للخطاب الأكثر اتساقًا مع واحد من أهم المداخل النظرية لدراسة المادة الخطابية، وهو "المدخل النقدي لتحليل الخطاب" والذي يمزج بين المداخل الثقافية وأدوات الألسنية عند تحليل أطروحات الخطاب.

كما يستفيد التعريف أيضًا من مجموعة العناصر التي حددها

1 - Titus. Hjelm (2014)," Religion, Discourse and Power: A Contribution towards a Critical Sociology of Religion", **Critical Sociology** 2014, Vol. 40(6) p.855.

فيركلاف لمعالم الرؤية النقدية للخطاب:

١- الهويات الاجتماعية التي تؤثر في إنتاج الخطاب.

٢- العلاقات الاجتماعية وتأثيراتها في إنتاج الخطاب.

٣- نظم المعرفة والعقيدة وتأثيراتها في إنتاج الخطاب[1].

ب- مفهوم الخطاب الديني:

يفرق الباحثون المعاصرون المعنيون بالخطاب الديني ما بين ثلاثة أنواع من الخطابات: خطاب ما قبل الحداثة، وخطاب الحداثة، وخطاب ما بعد الحداثة. وينصرف أغلب اهتمام أغلب الباحثين، حين يتعلق الأمر بالخطاب الديني، إلى خطاب ما بعد الحداثة، حيث يحاولون استجلاء أبرز إيجابايته التي ترتبط ضمنًا بإيجابيات عصر ما بعد الحداثة.

ويرتبط خطاب ما بعد الحداثة بتأثيرات العولمة، وفي سياقه ظهر خطاب ديني مختلف يستجيب للسمات الجديدة للعصر الذي أصبح البشر يحيون في ظلاله. "فالعولمة وإلغاء الضوابط والتقاليد التي تهدد –من وجهة نظر البعض- القيم الاجتماعية بشكل عام والدين بشكل خاص، وهو تهديد أدى مع أوائل الألفية الجديدة إلى خلق حركات معارضة دينية مثل حركة طالبان والإنجيليين المحافظين الأمريكيين. كما يمكن النظر إلى التفاوتات العالمية والمحلية المتزايدة على المستوى الاقتصادي على أنها تخلق "سوقًا"

1 - Fairclough. N (1992), "**Discourse and Social Change**", Cambridge: Polity Press, P.387.

للأديان توفر "وعدًا بالخلاص" للطبقات الدنيا في مجتمعات العالم المختلفة"[1].

ويمكننا تعريف الخطاب الديني ببساطة على أنه: "الخطاب الذي يرتبط بمحتوى ديني صريح، أو بسياق ديني". ويعني ذلك أن محتوى الخطاب الديني يصنف على مستويين:

١- المحتوى الديني الصريح: ويركز بشكل واضح ومتكامل على موضوع أو شخصية أو إشكالية دينية معينة في الفقه أو التشريع أو العقيدة أو العبادات أو الأخلاقيات أو المعاملات.

٢- المحتوى الديني السياقي: وهو المحتوى الذي يوظف الدين كسياق من خلال إشارات مباشرة أو غير مباشرة إلى النصوص الدينية أو الطقوس أو المعتقدات أو الأماكن الدالة دينيًّا.

وإذا نظرنا إلى الخطاب الديني الإسلامي فسوف نجده يتجلى في إطار عدة أشكال من الممارسات الخطابية، يحمل كل شكل منها نوعًا محددًا من المحتوى له منتجوه، وله أيضًا جمهوره:

١- المحتوى التربوي: ويتموضع في مقررات التربية والتعليم الديني بالمدارس العامة والمعاهد الدينية.

٢- المحتوى الكتابي: ويتموضع في الكتابات والمؤلفات التي يكون الدين والممارسات الدينية موضوعها ومجال اهتمامها.

---

1 - Titus. Hjelm (2014), Op.cit, 856.

٣- المحتوى الوعظي: ويظهر داخل المساجد في الخطب والكلمات الوعظية.

٤- المحتوى الجماهيري: ويظهر من خلال البرامج والمضامين الدينية التي تقدمها وسائل الإعلام.

٥- المحتوى الإرشادي: ويظهر في المحتوى الصادر عن هيئات الفتوى ومواقع الاستشارات الدينية.

٦- المحتوى الخدمي: ويظهر في المحتوى الذي يترافق مع بعض الخدمات التي تقدمها المساجد (العيادات الطبية، الأفراح، والمآتم وغيرها).

٧- المحتوى الديني اليومي: في السرد الذاتي أو التحادثي للفرد أثناء تفاعله مع أحداث الحياة اليومية في العالم الواقعي.

٨- المحتوى الافتراضي: ويتمثل في الرسائل والتدوينات والدردشات ذات الصلة بموضوعات دينية داخل الفضاء الافتراضي على شبكة الإنترنت.

والحديث عن الخطاب الإسلامي كخطاب واحد أو موحد ينطوي على جانب كبير من المغالطة. فثمة أنوع وأطياف وتجليات مختلفة لهذا الخطاب، والحديث عن الخطاب الإسلامي الموحد يتجاهل التنوع الهائل للثقافات التي تطورت فيها التقاليد الإسلامية وأفكار المسلمين عبر التاريخ. الإسلام ، مثل أي دين آخر ، له فهومه المختلفة التي يتم التعبير عنها من خلال المذاهب والثقافات والتفسيرات المتباينة.

ج- مفهوم عملية "تجديد الخطاب الديني":

تتراوح نظرة عديد من أصحاب الاتجاه المحافظ إلى مسألة تجديد الخطاب الديني بين الحذر والتشكك من ناحية، وما بين الترحيب من ناحية أخرى. وتتموضع فكرة "الحذر" حول مسألة الخوف من استهداف التجديد: "تغيير الأحكام الشرعية، مثلما يدعو البعض إلى عدم إلزامية الحجاب إذا تحققت العفة لدى من لا ترتديه، انطلاقًا من أن حكمة التشريع في هذه الحالة تحقيق العفة، أما وقد تحققت فلا لزوم له. فالتجديد يجب أن يحذر من تغيير الأحكام الشرعية". وفي المقابل يرحب أصحاب هذا الاتجاه بالتجديد الذي يوصف بـ"الشرعي" ويرون أن "التجديد الشرعي هو محاولة إحياء الدين في النفوس والمجتمعات حتى يكون مهيمنا، وحفظه كما يريد الله تعالى"[١].

فالتجديد من وجهة نظر المحافظين يعني "إعادة الشيء إلى ما كان عليه، ومن هنا فإن تجديد الدين يعني المحافظة عليه ليكون غضًّا طريًّا كما أنزله الله تعالى. فالتجديد عودة للمنابع والأصول عودة كاملة صافية. فالتجديد المشروع هو إحياء ما اندرس من الكتاب والسنة"[٢].

١- رعد حميد توفيق. وابراهيم نور على (٢٠١٨)، "تجديد الخطاب الديني المعاصر وانعكاساته على الأمن الفكري للمجتمع بين التكييف السياسي والتوظيف الشرعي"، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية**، السنة التاسعة، المجلد التاسع، العدد (٣٧)، ص ص ٦٠-٦١.

٢- محمد شاكر الشريف. (٢٠٠٤)، "تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف"، المملكة العربية السعودية، **مجلة البيان**، ص ص ١٤-١٥.

وينتمي أغلب أصحاب هذا الاتجاه إلى المؤسسات الفقهية الرسمية التي تعتبر التجديد نوعًا من العودة إلى الأصول، وإلى ما كانت عليه الأجيال الأولى من المسلمين، وتعتمد على مجموعة من الأفكار والرؤى الفقهية الموروثة التي تسعى إلى الحفاظ عليها، وتتحفظ على أية اجتهادات تأتي من خارجها، وتنظر إليها بعين الحذر والتشكك.

ومن خارج المؤسسة الفقهية الرسمية ظهر اتجاه مقابل اتجه إلى نقد الخطاب الديني الرسمي، ورأى أن مصطلح التجديد يعد المرادف الموضوعي لـ"الاجتهاد" وتقديم فهوم جديدة ومعصرنة للموروث الديني، أو كشف الغطاء عن المهمش العقلاني في التراث الإسلامي.

رفض أصحاب تيار التجديد المستند على مفهوم "الاجتهاد" حالة "الكهنوت" التي أصبح علماء المؤسسة الفقهية الرسمية يمثلون فيها سلطة شاملة ومرجعًا أخيرًا في شؤون الدين والعقيدة. وفرق أصحاب هذا الاتجاه أيضًا بين الفكر الديني والدين، ونبهوا إلى أن جهدهم ينصرف بالأساس إلى مراجعة الفكر الديني، ورفض أن يكون الدين أداة للاستغلال الأيديولوجي، ونزع فكرة القداسة عن الفكر البشري، واعتباره خطابًا إنسانيًّا عاديًا قابلًا للنقد[١].

حدد أصحاب هذا التيار مساحة عملهم في "الفكر الديني السائد" وأعملوا فيه مناهجهم وأدواتهم النقدية. ويعرف "العظم" الفكر الديني بأنه:

١- نصر حامد أبو زيد (١٩٩٤)، **"نقد الخطاب الديني"**، الطبعة الثانية، القاهرة، سينا للنشر، ص ص ١٤-٢٥.

"الإنتاج الفكري الواعي المتعمد في ميدان الدين كما يتم التعبير عنه صراحة على لسان عدد من الكتاب أو المؤسسات أو الدعاة لهذا الخط. بهذا الصدد ينبغي أن يكون واضحًا أن الفكر الديني ليس إلا الصعيد الواعي لكتلة هلامية سامة غير محددة الجوانب من الأفكار والتصورات والمعتقدات والغايات التي نطلق عليها أسماء عديدة منها: الذهنية الدينية"[١].

ولو أننا تتبعنا مسار عملية تجديد الخطاب الديني منذ عصر بناء الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي وحتى الآن فسنجد أن أغلب جهود التجديد كانت تصب في اتجاه تفكيك "الذهنية الدينية السائدة" بما تراكم بداخلها من موروثات غير عقلانية والجهل بالعلوم الدنيوية الحديثة القادرة على حل المشكلات العديدة التي يواجهها المجتمع، وإيثار العلوم الدينية عليها عندما احتكوا بنتاجها خلال الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١).

د- مفهوم "تجديد الخطاب الديني" في الدراسة الحالية:

نخلص من العرض السابق لوجهات النظر الخاصة بـ"تجديد الخطاب الديني" إلى وجود خطين أساسيين يتدخلان في تحديد مفهوم هذا المصطلح:

١- **خط الإحياء:** وينظر إلى التجديد على مستوى هذا الخط على أنه عودة إلى الأصلين الكبيرين: القرآن والسنة وتمثل التجربة النبوية

١- صادق جلال العظم (٢٠٠٣)، **"نقد الفكر الديني"**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص ٦.

وتجربة الخلافة الراشدة في الحياة المعاصرة. فالتجديد على مستوى هذا الخط يعني العودة للماضي وتمثله في الحاضر. وقد تفرع هذا الخط في اتجاهين:

- اتجاه إحياء السائد في الموروث الإسلامي: وذلك على مستوى المذاهب الفقهية والسياسية المختلفة.
- اتجاه إحياء المهمش في الموروث الإسلامي وذلك على مستوى المهمش العقلاني والأطروحات التي قدمتها مدرسة المعتزلة.

٢- **خط الاجتهاد:** وانطلق أصحابه من النقد العقلي للفكر الديني السائد. وقد تفرع هذا الخط هو الآخر إلى اتجاهين:

- اتجاه نقد المساحات السائدة في الفكر الديني التي تعرقل أو تعطل قدرة المجتمع على النهضة.
- اتجاه نقد المساحات الداعمة للتشدد أو التطرف الديني داخل الذهنية الدينية.

في ضوء ذلك يتحدد مفهوم تجديد الخطاب الديني في الدراسة الحالية في: "عملية تفاعل مع التراث الديني، تحدد المؤسسات الفقهية والجماعاتية أهدافها في العودة إلى الأصول وإحياء مقولات وصور الماضي واسترجاعها في الواقع المعيش، ويحددها الباحثون والمفكرون والمصلحون في الاجتهاد الهادف إلى تقديم فهوم جديدة لمفردات وعناصر الفكر الديني السائد بهدف عصرنته، وإحياء مفاهيم العقلانية

والحريات الدينية والواقعية التاريخية المسكوت عنها داخل الخطاب المؤسسي أو الجماعاتي".

ثانيًا- تيارات تجديد الخطاب الإسلامي:

توزعت محاولات وتجارب تجديد الخطاب الإسلامي في مصر على عدة تيارات، أولها تيار "التجديد من منظور إحياء السائد"، وثانيها تيار "التجديد من منظور إحياء المهمش"، وثالثها تيار "التجديد من خلال الإصلاح والعصرنة".

أ-التجديد من منظور "إحياء التقليدي":

وهو التيار المسيطر على خطاب المؤسسة الفقهية الرسمية من وجهة نظر "الحفاظ على الدين" وعلى الخطاب الجماعاتي الذي يستهدف "إحياء دولة الخلافة"، كما يشغل جانبًا من اهتمام خطاب التدين الشعبي، من منظور الحلم الطوباوي بدولة مثالية تم رسم صورة شعبوية لها في أذهانهم، تقترب وتبتعد في ملامحها عن الواقع التاريخي.

التجديد من وجهة نظر أصحاب تيار "إحياء السائد" يعني ببساطة العودة إلى الأصل. وسؤال "العودة إلى الأصل" كان من أسرع الأسئلة قفزًا إلى الذهنية المسلمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. فأكثر ما حير المسلمين في هذه اللحظة هو كيفية الاحتفاظ بالحالة التي سادت حياتهم على مدار ٢٣ عامًا هي عمر الدعوة. وقد ارتبطت نشأة الخلافة بمسألة الاحتفاظ بـ"الحالة المحمدية". وكان لقب أبي بكر "خليفة رسول الله". وأحد

الألقاب التي أطلقت على عمر "خليفة خليفة رسول الله". فالرابطة بين القائم والتاريخي كانت حاضرة[١].

كان الراشدون الأربعة –من وجهة نظر الذهنية المسلمة– متشربين بتجربة النبي، وكان مصدر شرعيتهم جميعًا هو الاحتفاظ بالحالة المحمدية، بغض النظر عن درجة التماس معها. وبناء على هذه الذريعة انتقل الحكم إلى عثمان بعد منافسة قوية مع علي، وكان أصل عدم وصول الحكم إلى علي هو رفضه لأطروحة عبد الرحمن بن عوف عندما مد يده إليه قائلًا: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال فأرسل يده"[٢].

ومع توالي السنين وتعاقب العقود واختفاء جيل الصحابة "المتشرب بالحالة المحمدية" بدأ التفكير في جمع وترتيب وتدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس المائة الهجرية الثانية من تاريخ الإسلام في عصر عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ– ١٠١هـ)، الذي يصفه البعض بأول مجدد في سلسلة المجددين الذين يرسلهم الله على رأس كل مائه عام هجري، لذلك فقد أطلق عليه "خامس الخلفاء الراشدين[٣].

منذ ذلك التاريخ أصبح مصطلح التجديد ينصرف إلى العودة للأصل

١- علي عبد الرازق (٢٠٠٠)، **"الإسلام وأصول الحكم"**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص٦.
٢- ابن كثير، **"البداية والنهاية"**، القاهرة، دار الحديث، الجزء السادس، ص ٣٤٥.
٣-عبد الستار الشيخ (١٩٩٦)، **"عمر بن عبد العزيز: خامس الخلفاء الراشدين"**، ط ٢، دمشق، دار القلم، ص٥.

المتمثل في "الحالة المحمدية" وإحياء سيرة النبي وسنته في الواقع المعيش. ومع مرور الزمن تمدد معنى "التجديد" إلى "إحياء الحالة الراشدية"، وبتعاقب أجيال المسلمين حتى الوصول إلى اللحظة المعيشة، أصبح التجديد من المنظور الإحيائي يشمل الماضي النبوي والماضي الراشدي وأحيانًا الماضي الأموي والماضي العباسي والماضي العثماني والماضي المملوكي.

تبنت جماعات الإسلام السياسي أو الجماعات الأصولية التجديد من منظور "الإحياء" وأسست أبنيتها النظرية على الفكرة "السلفية" بما تعنيه من عودة إلى الحالة المثالية التي سادت عصر النبي. واعتبرت دولة الراشدين نموذجًا طوباويًّا للدولة الإسلامية. والمراجع لأدبيات هذه الجماعات يجد أن النظرة الطوباوية ارتبطت بجيل الصحابة الذي يصفه أحدهم بـ"الجيل القرآني الفريد" وتمددت إلى بعض التجارب التالية لهم (قطب، ١٩٧٩: ١١).

نخلص مما سبق إلى أن تجديد الخطاب الديني من المنظور الإحيائي يعني:

١- تجميد التاريخ الإسلامي عند لحظة معينة تمثل نموذجًا مثاليًّا للدولة والمجتمع من وجهة نظر الإحيائيين هي "دولة الخلافة الراشدة" التي يتم تبني تراثها والموروث عنها دون فحص أو تحليل، انطلاقًا من أنها التجربة الأكثر اقترابًا من "الحالة المحمدية".

٢- يعبر تيار التجديد من المنظور الإحيائي عن حالة يتماهى فيها جيل معين من المسلمين بالجيل الذي سبقه، فجيل المسلمين الذين عاشوا في العصر الأموي هم أول جيل تماهى بالجيل السابق له من الخلفاء الراشدين، وتماهى المسلمون في العصر العباسي بالراشدين ونماذج من خلفاء بني أمية مثل معاوية الثاني وعمر بن عبد العزيز وهكذا.

٣- تسيطر على فكرة التماهي الشعبي السلفي بالنموذج الراشدي ثنائية "العدل والقوة". فالعدل والقوة أكبر قيمتين يتحلق حولهما الفكر السلفي وهو يستدعي تجارب السابقين. وتكاد هذه الثنائية أن تكون شركًا بين الأجيال المتعاقبة من المسلمين. وتفسير ذلك يجد أساسه في مسألتين، أولهما مسألة الاستبداد الذي مثّل سمة أساسية من سمات الحكم الإسلامي في مراحل مختلفة من تاريخه، جعلت الخاضعين له شديدي التعطش إلى العدل، وعالجوا ذلك في واقعهم باستدعاء النماذج التي مثلت صورًا مثالية للعدل توارثوها شعبيًّا، وثانيهما مسألة الضعف التي عانت منها الشعوب الإسلامية أمام الآخر الذي تسلل إلى السيطرة عليها خلال فترات تاريخية متنوعة، ذاقت فيها مرارة الهزيمة، واحتلال أرضها، ونهب ثرواتها.

ب- التجديد من منظور إحياء المهمش:

التجديد من منظور إحياء المهمش يعبر عن "تيار بحثي" اشتبك من خلاله مجموعة من الباحثين مع قضايا التراث بهدف كشف بعض

المساحات المسكوت عنها في النصوص التراثية. والساكت هنا هو أصحاب نظرية التجديد بإحياء السائد. وقد توزعت اهتمامات هذا التيار البحثي على ثلاث مجالات: الأول هو "مسار مراجعة التأويلات السائدة"، والثاني "مسار إحياء فكر الحريات في التراث الإسلامي، والثالث "مسار إحياء أفكار المعتزلة في العقلانية".

مسار مراجعة التأويلات السائدة:

لا يستسلم أصحاب هذا التيار لفكرة قبول التأويلات السائدة في التراث على ما هي عليه، محاولة استعادته بأبعاده الطوباوية والعجائبية، كما يفعل أصحاب نظرية "إحياء السائد"، بل يتجهون إلى مراجعة أفكار التراث وينظرون إليها نظرة تحليلية ناقدة تستهدف إعادة تركيبه. فالتراث من وجهة نظر أصحاب هذا التيار "يحتاج إلى عميات تفكيك وإعادة تركيب سعيًا إلى تحويل الركام إلى معالم تقترب ما أمكن من حقيقة وجودها التاريخي، ومن حقيقة الدور الذي لعبته. والهدف من هذه المنهجية هو إعادة قراءة الماضي والتمييز بين صورته الكائنة وصورته المكونة والوظيفية أيا كان سياق وظيفيتها"[١].

وبدأت جهود أصحاب هذا التيار على يد عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وذلك في كتابه الأشهر "في الشعر الجاهلي" الذي

١- ناجية الوريمي (٢٠٠٤)، **" في الانتلاف والاختلاف: ثنائية السائد والمهمش في الفكر الإسلامي القديم"**، دمشق، دار المدى، ص ١١- ١٢.

صدر عام ١٩٢٦. تمثلت أهمية هذا الكتاب في إبراز الفكرة التي تقول إن بعض ما يشتمل عليها الموروث من نصوص ومنتوجات فكرية وأدبية موضوع ومصنوع ولا تنتمي إلى العصر أو الأشخاص الذين تنسب إليهم، بل تم وضعها في عصور لاحقة على أيدي آخرين.

أثبت طه حسين هذا الأمر فيما يتعلق بالشعر الجاهلي، وشرح كيف تدخلت في ذلك العوامل السياسية في العصر الأموي –على وجه الخصوص– والصراع الذي نشب بين المهاجرين وفي مقدمتها الأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، الذى أدى بدوره إلى صناعة شعر ينسب إلى قريش أيام الجاهلية (على رأسه بعض الشعر الجاهلي)، لتحقيق نوع من التوازن مع الأنصار الذين اشتهروا بشعرهم قبل الإسلام وبعد دخولهم في دين الله. تطرق العميد أيضًا إلى العصبية والمذهبية الدينية كأسباب أدت إلى انتحال الشعر.

ويحمل الطرح الذي قدمه طه حسين تلميحًا يصل إلى مرتبة التصريح إلى أن بعض النصوص –غير الشعرية– التي تم وضعها في هذا العصر كانت أيضًا منحولة ومصنوعة، ينطبق ذلك على ما تحكيه كتب التاريخ والسيرة من أحداث وأخبار ليس لها صلة بما حدث أيام النبي صلى الله عليه وسلم وخلال فترة الراشدين. يكفي أن نشير في هذا السياق إلى ما تحتشد به كتب السيرة من أشعار ينسب بعضها إلى أجداد النبي، بل وينسب بعضها إلى أول الخلق –آدم عليه السلام– وكيف رثا ولده لما مات على يد أخيه، ناهيك عن الشعر الذي ينسب إلى الجن وغير ذلك.

حمل كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" دعوة مبكرة لتنقية التراث وإعادة النظر في عديد من النصوص التي يشتمل عليها، بما في ذلك بعض الأحاديث التي وضعها ضعاف الإيمان على النبي صلى الله عليه وسلم، وتقييم مدى مصدقيتها ونسبتها إلى العصور التي تعبر عنها والأشخاص الذين تنسب إليهم[١] .

ومن النماذج التي واصلت هذا الخط في مراجعة التراث الباحثة التونسية (ناجية الوريمي) التي فحصت عددًا من المسائل التي اشتمل عليها التراث الإسلامي مثل مسألة "النص وأسباب النزول بين السيرة والتفسير" و"الفكر الأصولي بين سلطة الواقع وسلطة النص" و"سلطة الواقع في التعامل مع النص" و"مسألة خلق القرآن" وغير ذلك. واعتمدت في معالجتها على آلية "التفكيك وإعادة التركيب" فخرجت برؤى وصياغات جديدة لعديد من هذه المسائل اقتربت بها من حقيقة وجودها التاريخي.

توقفت (ناجية الوريمي) على سبيل المثال أمام واقعة الفيل حين هجم أبرهة الحبشي على مكة مستهدفًا هدم البيت الحرام، وهي من الوقائع المركزية في تاريخ عرب مكة. عددت "الوريمي" بعض التفاصيل التي حكتها كتب السيرة والتفسير عن حملة أبرهة، وكيف أن الله تعالى أرسل على أبرهة وجنوده طيرًا أبابيل (جماعات) فجعلهم كعصف مأكول (أي مثل التبن الذي أكلته الدواب)، ثم حللتها بشكل متأنٍّ قارنت فيه بين الرواية التي قدمتها كل من كتب السيرة وكتب التفسير للواقعة، وخلصت إلى أن الحجارة

١- طه حسين (١٩٩٨)، **" في الشعر الجاهلي"**، الطبعة الثانية، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، ص ٣٢.

التي ضربت أبرهة وجنوده كانت مصدرًا لـ"وباء". فالطير كانت تحمل بين أرجلها وبمناقيرها نباتات أو أحجار صغيرة للغاية بمجرد أن تضرب من له نصيب فيها يتساقط بالطريق ويهلك كل مهلك.

وتشير "الوريمي" إلى أن بعض المفسرين أشاروا إلى أن عرب مكة عرفوا وباء الجدري لأول مرة مع هذه الواقعة، وأنه أول ما رئيت الحصبة والجدري بأرض العرب كان في ذلك العام. ويبدو أن هاجس الوباء والخوف من الإصابة به قد سيطرا على ساكني مكة والمناطق المحيطة بها، كما جاء في المحادثة التي دارت بين حليمة السعدية مرضعة النبي وأمه آمنة. قالت آمنة: دعينا نرجع ببنينا هذه السنة لأخرى فإنا نخشى عليه أوباء مكة. في ضوء هذا التحليل انتهت "الوريمي" إلى أن الموروث الإسلامي أكد على "الطبيعة العجائبية" للواقعة رغم أن التحليل المتأني لمحتوى الواقعة كما وصفها التراث، يشير إلى جانب "الواقعية" في الحدث[١].

مسار إحياء فكر الحريات:

عالج بعض الكتاب والباحثين مسألة التجديد من منظور إحياء "مساحة الحريات الدينية" المسكوت عنها في التراث الإسلامي. وهي من المساحات المهمشة داخل معالجات التجديد. ويعد الدكتور عبد الرحمن بدوي نموذجًا على المفكرين الذين أزاحوا الستار عن أحد الجوانب المجهولة في التراث، والمتمثلة في الحريات الدينية، كما يعد كتابه "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" مثالًا نموذجيًا على الطرح التجديدي الذي يعتمد على كشف "مهمش الحريات" في التراث الإسلامي.

١- ناجية الوريمي، (٢٠٠٤)، **مرجع سابق**، ص ص ٣٦- ٣٩.

والفكرة الأساسية التي استند إليها المجددون من هذا المنظور أن "مسألة الإلحاد" كأحد تجليات الحرية الدينية ظهرت في البيئة العربية منذ فترة مبكرة، لكنها لم تستند إلى الأطروحة الغربية التي تقول بـ"موت الإله" بل ارتكزت إلى أطروحة بديلة هي أطروحة "موت النبوة والأنبياء" ذلك أن الإلحاد العربي كان لا بد أن يستند إلى الروح العربية، وما تضعه هذه الروح من صلة في تدينها الخاص بين الله وبين العبد، فإنها لما كانت تنظر إلى هذه الصلة على أنها صلة افتراق وبعد كامل فقد وسطت بينها الكلمة، كلمة الله، وكلمة الله لا ترد مباشرة عنه لوجود الهوة الهائلة بين العبد والله، بل بالوسيط، وهو النبي. لهذا كان الأنبياء هم الذين يلعبون أخطر دور عند الروح العربية، وإذًا فالدين والتدين عامة إنما يقومان على فكرة النبوة والأنبياء، وعلى هذا فإن الإلحاد لا بد أن يتجه إلى هذه الفكرة[١].

توقف عبد الرحمن بدوي أمام عدد من المشاهير الذين اشتملت كتب التراث على شذرات حول إلحادهم، ووجه إليهم معاصروهم اتهامًا بالزندقة، وذلك في سياق التفتيش عن مساحة الحريات الدينية، كواحدة من المساحات المهمشة لدى تيار "إحياء السائد". وتطرق في هذا السياق إلى شخصية "ابن الراوندي" و"ابن المقفع" و"جابر بن حيان" وغيرهم. وحاول كشف القناع عن هذا الجانب في التراث، وكيف كان الاتهام بالزندقة، يأتي في أحيان مسوقًا بأهداف سياسية، أو بسبب عجز المعاصرين عن استيعاب الرؤى التنويرية لمن اتهموهم بالإلحاد، أو بسبب الإيمان بسلطة العقل، وترجيحها في بعض الأحوال على سلطة النص أو النقل.

١- عبد الرحمن بدوي(١٩٩٣)، **" من تاريخ الإلحاد في الإسلام"**، ط٢، القاهرة، سينا للنشر، ص ٧.

لم يتصد عبد الرحمن بدوي وحده لكشف جانب الحريات في الممارسة الدينية، بل شاركه في ذلك الدكتور طه حسين، وركز العميد على كشف هذا الجانب داخل التراث الشعري على وجه الخصوص، فعالج اتجاهات المجون (الحرية الحياتية) والشك (الحرية الدينية) في العصر العباسي، من خلال الإبحار داخل تجارب عدد من الشعراء من بينهم أبو نواس وبشار بن برد وأبو العلاء المعري وغيرهم[١].

مسار إحياء الفكر العقلاني للمعتزلة:

انطلق أصحاب هذا التيار من فكرة إحياء المهمش العقلاني في التراث الإسلامي، والتأكيد على حق الاجتهاد الذي نادت به مدرسة المعتزلة، واستندوا إلى فرضية أن التجديد لا يتوجه إلى الإسلام، بل يجب أن يتوجه إلى المسلمين، والعقول المغلقة للمسلمين والتي تأبى التعامل المنهجي مع الموروث.

وقد استقرت مدرسة المعتزلة على مجموعة من الأفكار التي تعلي من قيمة الحرية الإنسانية واختيار الإنسان لأفعاله، وأخذوا بمبدأ "الاستحسان العقلي" في معرفة الخير والشر، ومبدأ الاجتهاد في الرأي، وقد أدت هذه الأفكار والمبادئ إلى إحداث نقلة حضارية كبرى داخل الأمة الإسلامية وفي الفكر والفقه الإسلامي، لكن عطاء هذه المدرسة تم طمسه والسكوت عنه وعدم الاستفادة منه طيلة قرون عديدة بسبب سيطرة المدرسة الأشعرية (تنسب إلى أبي الحسن الأشعري) على الفكر الإسلامي.

١- طه حسين. (١٩٩٣)، **"حديث الأربعاء"**، ط ١٤، القاهرة، دار المعارف، ص ٤٥.

تبنى نصر حامد أبو زيد هذا الطرح، وساهم في رفع الغطاء عن فكر المعتزلة، ووظفه في تفكيك أفكار المتشددين والمتطرفين، وأشار في أحد بحوثه إلى استفادة التيار اليساري من تراث المعتزلة في قراءة وتأويل النصوص الدينية، واعتبرها امتدادًا طبيعيًّا للتأويل العقلاني في الإسلام الذي طرحه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده استجابة للتحدي الحضاري الذي طرحه الآخر "الغربي" من جهة، واستنادًا إلى التراث العقلاني للمعتزلة وابن رشد من جهة أخرى [١].

ومن المجددين المعاصرين الذي سلكوا النهج العقلاني واعتبروا العقل الأداة الأنجح لتطوير الفكر الإسلامي الدكتور محمد الخشت. طرح "الخشت" فكرة تطوير الخطاب الديني وذهب إلى أن الأداة الأساسية للتطوير هي التفكيك العقلاني للأفكار الجامدة داخل العقل المسلم. فالدين نفسه لا يتجمد لكن الذي يتجمد هو عقول فسرت النصوص القرآنية والنبوية الواضحة والمباشرة بأيديولوجيات عقيمة تجمدت معها المنظومة العقائدية والتشريعية في كهنوت بشري يتخفى في ثوب إلهي. ومن هنا يتبنى "الخشت" منهجية تستند إلى نقد البشري وعدم التنكر للإلهي، بهدف الوصول إلى الدين في حالته الطبيعية الأولى [٢].

١- نصر حامد أبو زيد (١٩٩٤)، **مرجع سابق**، ص ١٤٧.

٢- محمد الخشت (٢٠٢٠) ، **"نحو تأسيس عصر ديني جديد"**، ط٢، القاهرة، نيو بوك للنشر والتوزيع، ص ١٢.

نخلص من العرض السابق للمسارات المختلفة التي تبلورت في إطارها أطروحات تيار "إحياء المهمش" في تجديد الخطاب الديني إلى ما يلي:

١- ركز أصحاب هذا الاتجاه بشكل خاص على إحياء "مهمش الواقعية التاريخية" مقابل "الأطروحة العجائبية" أو "الأطروحات المثالية" التي يركز عليها أصحاب تيار إحياء السائد عند قراءة نصوص التراث الإسلامي وتأويلها.

٢- حظى "مهمش العقلانية" باهتمام كبير من جانب الباحثين في هذا الاتجاه، وكان هناك تركيز في هذا السياق على إبراز التراث العقلاني للمعتزلة، الذين ارتضوا بالعقل كأداة لتأويل النص، وأكدوا على مفهوم "الاستحسان العقلي" كأداة فطرية يستطيع الإنسان أن يميز بها بين الخير والشر.

٣- اهتم أصحاب تيار "إحياء المهمش" أيضًا بـ"مهمش الحرية" وركزوا في هذا السياق على مفهومين للحرية؛ الأول هو الحرية الحياتية حتى لو بلغت حد المجون، والثاني الحرية الدينية حتى لو بلغت حد الإلحاد.

٤- ثمة علاقة أساسية بين المهمشات الثلاثة التي ركز عليها أصحاب هذا التيار. فمهمش "الواقعية التاريخية" يقتضي القراءة العقلانية للتراث، وإعادة تفكيكه وتركيبه عبر أبنية واقعية، بعيدة عن صور المفارقة للواقع العقلاني. كما أن الحرية هي جزء من التناول العقلاني لواقع

الحياة، وعدم تقييد حرية العقل في التعامل مع النص الموروث.

ج- التجديد من منظور "الإصلاح الاجتماعي والعصرنة":

وهو التيار الذي انتظم تحت مظلته مجموعة المفكرين والمصلحين التنويريين منذ الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي وحتى الوقت الحالي، وتجاوب مع التحديات التي بدأت مصر وغيرها من الدول الإسلامية في مواجهتها مع احتلال الفرنسيين لمصر (١٧٩٨- ١٨٠١) وطرح سؤال النهصة والخروج من إسار التخلف على العقل العربي.

في هذا السياق اعتمد الشيخ "رفاعة الطهطاوي" على أطروحة "الذات المتخلية عن أصولها" وهو يعالج أمر تجديد العقل الديني لدى أمة المصريين، بحيث يستفيد من الفنون والعلوم والصنائع التي طورتها إلى أوربا، انطلاقًا من أن تاريخ المسلمين في عصر الازدهار يشهد على أنهم طوروا العلوم والفنون والصناعات، وأن أوربا استفادت من عطائهم العلمي في التأسيس لنهضتها الحديثة. فكل العلوم الدنيوية التي تزهو بها أوربا أصيلة في التاريخ الإسلامي[١].

وكانت بداية طريق الإصلاح الذي سار فيه "الطهطاوي" تصحيح مفهوم العلماء لدى العامة، والتأكيد على أن نخبة العلماء لا تشتمل على حملة العلوم الدينية وفقط، بل تمتد إلى المتخصصين في علوم الدنيا،

١- رفاعة الطهطاوي (٢٠١٢)، **"تخليص الإبريز في تلخيص باريز"**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٣٤.

وصحح النظرة السلبية التي كان البعض ينظرها في ذلك الوقت إلى أصحاب العلوم الدنيوية؛ لأنهم يقلدون الأجانب في ذلك، وأشار إلى أن المسلمين في عصور سابقة اهتموا بهذا اللون من العلوم وطوروها ولم يجدوا غضاضة في التعلم من علوم اليونان، ونبه إلى ضرورة إكرام وتكريم هؤلاء العلماء [١].

وتبنى الشيخ الإمام محمد عبده الفرضية الأساسية التي بنى عليها الشيخ رفاعة الطهطاوي تحليله لحالة التخلف الدنيوي التي سادت العالم الإسلامي مقابل ما تنعم به أوربا من تطور علمي وفني وصناعي. وهي فرضية "الذات المتخلية عن أصولها"، وأكد من خلالها أن مدنية الغرب أساسها الإسلام الذي تخلى عنه أهله فتخلفوا".

أراد الشيخ محمد عبده توظيف الدين في الإصلاح الاجتماعي، بما يعنيه من السير في طريق "التمدن". يصف الشيخ معنى التمدن قائلًا: "التفنن في الصنائع فصل من فصوله، والتسابق في ميادين العلم باب من أبوابه، والتجافي عن موضع النقيصة جزء منه، والتجمل بالأخلاق الفاضلة نبذ من جواهره" [٢].

والمتتبع للجهد الإصلاحي الذي قام به الإمام محمد عبده في "الميدان الاجتماعي" سيلاحظ اتجاهه إلى مواجهة الآفات الاجتماعية التي

١- المرجع السابق، ص ٦٧.

٢- محمد عبده (١٩٨٨)، **"الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية"**، القاهرة، دار الحداثة، ص ٩٢.

برزت في عصره. حارب الإمام "الرشوة" وتعجب من التحول الثقافي في النظر إليها وحالة القبول الاجتماعي لها، وقال: "لقد كادت الرشوة أن تكون من الوسائل المحمودة لنجاح المقاصد ودفع الغوائل، ومن الناس من تكون حقوقه بينة جلية الثبوت ولا يكتفي بذلك في اقتضائها فيسارع إلى الرشوة يدفعها لمن يرجع إليه تخليص حقه، وقد ينهره الحاكم العفيف ولا يرضى بقبولها، وهو من سفهه يتوسل ويتضرع إليه في قبولها، وليس ذلك إلا لرسوخ تلك العادة الشنيعة المضرة بالدنيا والدين في طباع أدنياء الهمم" [١].

توقف محمد عبده أيضًا أمام مسألة ميل المصريين إلى "القول أكثر من الفعل" وهو ما يعد مقدمة طبيعية لسقوط الفرد والجماعة في "بئر النفاق". وذكر الإمام في هذا السياق أن "القول الذي لا يعضده الفعل يحسب من أردأ الأوصاف وأقبحها لأنه يشعر بوجود أوصاف تشهد بالبداهة بقبحها، ومن الأسف أن الوصف يوجد في كثير من أهالي بلادنا، بل في الغالب منهم، بل لا يوجد القائل الفاعل إلا قليلًا" [٢].

الأخطر في تجربة التجديد لدى الإمام محمد عبده أنه خلافًا لمعاصريه من علماء الدين، وخلافًا لمن سبقه منهم أيضًا اعتمد على منهجية عقلانية خالصة في تفسير النص القرآني. لم يخضع فيها للموروث الفقهي أو التفسيري لنصوص القرآن الكريم، بل أعمل عقله في نصوص

١- محمد عمارة(٢٠١٢)، **"المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده"**، مكتبة الاسكندرية، ص ١١١.

٢- المرجع السابق، ص ١١٢.

التراث، ولم يهدر السياق الذي يعيش فيه ومعطيات العصر الذي يحيا في ظلاله، وهو يفسر النص القرآني أو يستخلص منه أحكامًا قد تتفق أو تختلف مع ما خلص إليه فقهاء الموروث الديني. جعل الإمام العقل أداة لفحص وتحليل الأفكار والمفاهيم التي اشتمل عليها التراث الديني، فقبل من بينها ما يوافق العقل ومعطيات الواقع والذوق الإنساني السليم، ونبذ ما يتناقض مع العقل والفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم، ذلك النص الذي لا تتناقض شرائعه وأحكامه بحال مع العقل.

وأكثر ما ميز المنهج التأويلي الذي اعتمد عليه الشيخ الإمام أنه خلافًا لغيره لم يهمل السياق، فقد جعل من "سياق الماضي" مقدمة أساسية لقراءة واستيعات التخريجات التأويلية التي خلص إليها فقهاء الموروث، واستند إلى "سياق الحاضر" في استخلاص الأحكام والتشريعات من النصوص القرآنية، ولم يأبه إلى مسألة الاتفاق أو الاختلاف مع الاستخلاصات التي خرج بها فقهاء الموروث من النصوص ذاتها. يشهد على ذلك الاستخلاصات الملفتة والمبتكرة التي خلص إليها الشيخ الإمام في تأويل الآيات القرآنية المنظمة لمسألة الزواج في الإسلام والتي أعادت الاعتبار إلى المرأة ودافعت عن حقوقها في مواجهة رؤية موروثة قامت على إهدارها ومحاصرتها وإسقاط حقوقها.

على سبيل المثال اختلف الشيخ الإمام مع المفهوم الذي قدمه فقهاء الموروث للزواج في الإسلام. ويذهبون فيه إلى أن "الزواج عقد يملك به

الرجل بضع المرأة"، يعلق الإمام على هذا التعريف بقوله: "لم أجد في تعريفات الفقهاء للزواج كلمة واحدة تشير إلى أن ما بين الزوج والزوجة شيئًا آخر غير التمتع بقضاء الشهوة الجسدية، وكلها خالية عن الإشارة إلى الواجبات الأدبية التي هي أعظم ما يطلبه شخصان كل منهما من الآخر. وقد رأيت في القرآن الكريم كلامًا ينطبق على الزواج ويصح أن يكون تعريفًا له، ولا أعرف أن شريعة من شرائع الأمم التي وصلت إلى أقصى درجات التمدن جاءت بأحسن منه، قال الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)"[١]. الرأي السابق للشيخ الإمام يضعنا أمام عقلية نقدية لا تميل إلى حفظ الموروث الفقهي بل تسعى إلى تحليله وتمحيصه وقياس أفكاره على القرآن الكريم ومتطلبات العصر وتحولاته.

وخلافًا للموروث الفقهي أيضًا تبنى الشيخ محمد عبده رأيًا فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات وأكد أن الشريعة المحمدية أباحت للرجل الزواج بأربع من النسوة بشرط العدل بينهن وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة وأن آية: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء" مقيدة بآية "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة". وقد فند الإمام محمد عبده مزاعم المدافعين عن حق الرجل في تعدد الزوجات في أكثر من موضع من كتاباته الاجتماعية وخلص إلى أن إقرار التعدد في صدر الإسلام كان مرده الحالة الاجتماعية والظرفية التي عاشها

١- **المرجع السابق**، ص ١٢٧.

المجتمع المكي، وأن الأوضاع المعاصرة تفرض قراءة مختلفة لمسألة تعدد الزوجات تتسق مع التطور الاجتماعي.

يقول الإمام: "وغاية ما يستفاد من آية التحليل –يقصد آية "فانكحوا ما طاب لكم من النساء"– إنما هو: حل تعدد الزوجات إذا أمن الجور، وهذا الحلال هو كسائر أنواع الحلال تعتريه الأحكام الشرعية الأخرى من المنع والكراهة وغيرهما بحسب ما يترتب عليه من المفاسد والمصالح، فإذا غلب على الناس الجور بين الزوجات، كما هو مشاهد في أزماننا، أو نشأ عن تعدد الزوجات فساد في العائلات وتعد للحدود الشرعية الواجب التزامها، وقيام العداوة بين أعضاء العائلة الواحدة، وشيوع ذلك إلى حد أن يكون عامًّا، جاز للحاكم، رعاية للمصلحة العامة، أن يمنع تعدد الزوجات بشرط أو بغير شرط، على حسب ما يراه موافقًا لمصلحة الأمة"[١].

توفي الشيخ محمد عبده أوائل القرن العشرين (عام ١٩٠٥). وكان الانتقال إلى القرن الجديد إيذانًا بانطلاق حركة التجديد في الخطاب الديني إلى حد تحدي عديد من المفاهيم والأفكار النمطية، بل وطرح أفكار في منتهى الجرأة، تستطيع التناغم مع التركيبة المعرفية الجديدة التي بدأت تتكون لدى المتعلمين وطلاب البعثات في مصر حول نمط "التدين التقليدي". بدأ التحدي من داخل النخبة الأزهرية ذاتها، حين خرج الشيخ علي عبد الرازق عام ١٩٢٥ بكتابه "الإسلام وأصول الحكم".

١- **المرجع السابق**، ص ١٣٣.

عندما صدر كتاب "الإسلام وأصول الحكم" كان قد مضى عامان على السقوط الرسمي للخلافة العثمانية عام ١٩٢٤. وفيه اشتبك "علي عبد الرازق" مع قضية الحكم في الإسلام منطلقًا من فرضية عكسية تدحض الفرضية التي عاش عليها المسلمون قرونًا من الزمن، تلك التي تقول: "الخلافة أصل من أصول الحكم". اهتم الشيخ في بداية الكتاب بمناقشة مفهوم الخلافة، والنظريات المختلفة لتولية الخليفة (بإرادة إلهية نافذة) يتقبلها الناس كجزء من القضاء والقدر، أو (بإرادة الأمة) بالاختيار من بين أفرادها. وذكر أن بعض الفقهاء أوجبوا وجود خليفة في كل زمان، وذهب آخرون إلى أن وجود خليفة للمسلمين ليس بالأمر الواجب. وذهب "عبد الرازق" إلى عدم وجود آية قرآنية واحدة تقول بضرورة تنصيب خليفة للمسلمين، وأن أغلب الاحتجاجات التي يقدمها أنصار هذا الرأي يستندون إلى التجربة الأولى لإقامة الدولة الإسلامية، بالإضافة إلى بعض الأحاديث النبوية. وناقش مفهوم "أولو الأمر" في القرآن الكريم، وذكر أن المقصود بهم أمراء الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويندرج فيهم القضاة والخلفاء وأمراء السرية وغيرهم. والحديث عن انعقاد إجماع الأمة على وجوب وجود خليفة للمسلمين يؤكد لك من جديد عدم وجود دليل من القرآن على ذلك، وإلا لاستغنى به الفقهاء عما عداه، بما في ذلك "الإجماع". أما الأحاديث النبوية التي تحدثت عن "الإمامة" فقد ذهب "عبد الرازق" إلى أن مفهوم "الإمامة" لا يدل بحال على "الخلافة" بمعناها المتفق عليه الذي يذهب إلى أنها "تعني خلافة النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة أمر

الدين وسياسة أمر الدنيا"[١].

نخلص من التناول السابق لأبرز أفكار تيار "الإصلاح والعصرنة" في تجديد الخطاب الديني إلى ما يلي:

١- حرص الرواد الأوائل لأصحاب هذا التيار على ربط أطروحات الإصلاح والعصرنة بعصور وفترات التقدم العلمي في تاريخ الإسلام، بهدف تهيئة المصريين لقبول علوم الغرب، والدخول إلى عصر "التمدن والعمران". وقد جمعت هذه الفرضية بين كل من الطهطاوي والشيخ محمد عبده.

٢- أحدث الشيخ محمد عبده نقلة نوعية في رحلة تجديد الخطاب الديني عندما جعل من العقل وسياق العصر أساسًا لتأويل النص الديني، بما في ذلك النص القرآني، وكانت تجربته في هذا السياق تجربة رائدة.

٣- مثّل تفكيك مفهوم "الخلافة" على يد علي عبد الرازق (عام ١٩٢٥) خطوة مهمة على مسار تجديد الخطاب الديني، والدفع في اتجاه تبني مفهوم "الدولة الوطنية"، بعد قرون طويلة اعتقد فيها المصريون – وغيرهم من شعوب المسلمين– أن الخلافة تمثل أصلًا من أصول الحكم في الإسلام.

هيأت الحقبة الليبرالية التي عاشتها مصر عقب قيام ثورة ١٩١٩ الظروف لدفع حركة تجديد الخطاب الديني، والتصدي لعديد من المفاهيم

١- علي عبد الرازق (٢٠٠٠)، مرجع سابق، ص ٣٤.

التي تردد مفكرو الإصلاح فيما قبل في الاشتباك معها، مثل مفهوم الخلافة والحرية الدينية، وقد واتت الظروف بالنسبة للمفهوم الأخير إلى حد إصدار المفكر "إسماعيل أدهم" كتابًا تحت عنوان "لماذا أنا ملحد" يؤكد على الحق في "الحرية الدينية".

الفصل الثالث

الطريق إلى خطاب ديني عصري

نتائج تحليل مشروع تجديد الخطاب الديني

لدى الدكتور "محمد الخشت"

تمهيد

أولًا – المنطلقات الفكرية لخطاب التجديد لدى "محمد الخشت"

ثانيًا – المنطلقات المنهجية لخطاب التجديد لدى "محمد الخشت"

ثالثًا – شبكة مصطلحات ومفاهيم تجديد الخطاب لدى "محمد الخشت"

رابعًا: العلاقة بين شبكة المصطلحات والمفاهيم داخل خطاب التجديد لدى "محمد الخشت"

خامسًا – الأطروحات الأساسية في خطاب التجديد لدى "محمد الخشت"

سادسًا – قضايا التجديد في خطاب "محمد الخشت"

سابعًا – القوى الفاعلة في تجديد الخطاب الديني لدى "محمد الخشت"

ثامناً – وصف القوى الفاعلة والأدوار المسندة لها في خطاب "محمد الخشت"

الفصل الثالث

نتائج تحليل مشروع تجديد الخطاب الديني

لدى الدكتور "محمد الخشت"

تمهيد

اجتهد الدكتور محمد الخشت على مدار عقود متصلة في تقديم مشروع متكامل لتجديد الفكر الديني يرتكز على العقلانية النقدية، ويستند إلى تطوير علوم الدين، وليس إحياء علوم الدين القديمة، ويدعو إلى صياغة خطاب ديني جديد بدلًا من تجديد الخطاب الديني القديم، ويعيد كتابة علوم الحديث في صيغة عصرية، بالإضافة إلى إعادة تأويل موقف الشريعة من قضايا المرأة منذ ثمانينات القرن العشرين. ويناقش هذا الفصل بالتفصيل المنطلقات النظرية والمنهجية لمشروع التجديد لدى "الخشت"، وأبعاد التجديد ومجالاته وأطروحاته، والقوى الفاعلة الدافعة لعملية التجديد، وكذا المعرقلة لها، بالإضافة إلى رصد وتحليل أهم المفاهيم التي شكلت خريطة تجديد الخطاب الديني لديه.

أولًا- المنطلقات الفكرية لخطاب التجديد لدى "محمد الخشت":

اعتمدت رؤية الدكتور محمد الخشت في تجديد الخطاب الديني على عدد من المنطلقات الفكرية والنظرية التي أسست لمنظومة الأفكار التي تحلقت حولها رؤيته في التجديد، وتتمثل هذه المنطلقات في:

أ-التجديد يبدأ من التسليم بفكرة "عدم تقديس البشري":

ينطلق الطرح التجديدي للخشت من فكرة أن الدين في ذاته لا يتجمّد، لكن الذى يتجمد هو العقول التي تتصدى لتفسير النصوص القرآنية والنبوية الواضحة والمباشرة، بأيديولوجيات تجمدت معها المنظومة العقائدية والتشريعية فى كهنوت بشرى، يتخفى -حسب وصفه- فى ثوب إلهى، ويخرج من هذا المنطلق بضرورة تفكيك الفكر الإنسانى المتصلب والمتقنع بأقنعة دينية؛ حتى يمكن كشفه أمام نفسه وأمام العالم، وإزالة القداسة عنه. فالهدف من التفكيك هو الفكر "الإنسانى" الذى نشأ حول الدين "الإلهى"، وصنع أنساقًا ومذاهب متضخمة مثل قصور من الخرسانة، لكنها -بحسب تعبير الخشت- "تقف على الرمال، وتنتظر من يحرك تلك الرمال حتى ينهار ما فوقها، ويستطرد بأن التفكيك ليس على طريقة التفكيكيين الجذريين، مثل جاك دريدا، وإنما هو عملية تفكيك من أجل إعادة البناء على أرض نظيفة. فالتفكيك المرفوض -بحسب الفيلسوف المجدد- هو الذى لا يعيد البناء؛ وهو التفكيك من أجل التفكيك، ونتيجته لا محالة هى الفوضى التى يريدها أعداء الإسلام والوطن سواء من الخارج أو من

الداخل. إن رفع الأنقاض ليس غاية، ولكنه وسيلة[١].

ويحلل "الخشت" أسباب ظاهرة تقديس الاجتهادات البشرية القديمة في الخطاب الديني التقليدي، مرجعا ذلك إلى تصوُّر المتأخرين للعقل الديني على أنه «العقل النقلى» لا «العقل النقدى»، عند فهم الدين ومقاصده، ويخلص "الخشت" إلى أن من تداعيات تلك المنهجية النقلية ظهور التطرف، وتجمد الخطاب الدينى، وتوقف الاجتهاد فى علوم الدين، حيث المعالجة النقلية للعلوم، وحيث المعالجة الإنشائية المفرطة فى الخطاب الشفهى والمكتوب. وظن المتأخرون أن هذه العلوم إلهية مقدسة، لا يكون التعامل معها إلا بالحفظ، وأن معنى أن تصبح عالمًا هو أن تحفظ المتون وتقرأ الحواشى.

وفي دعواه لتجديد الخطاب الديني التقليدي، يقيم "الخشت" حجته على أن العلوم التى نشأت حول الدين علوم إنسانية تقصد إلى فهم الوحى الإلهى، فالقرآن إلهى، لكن علوم التفسير والفقه وأصول الفقه وعلوم مصطلح الحديث وعلم الرجال أو علم الجرح والتعديل... إلخ، علوم إنسانية أنشأها بشر، وهى قابلة للاجتهاد والتطور والتطوير، وهذه مسألة واضحة حسبما يقول، "إن من يرفضون تجديد الخطاب الديني هم المتعصبون، الذين تجمد لديهم كل شىء، ممن رفضوا الاجتهاد وتمترسوا خلف التقليد،

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب التقليدي الديني (٢)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٦/٧ متاح على الرابط التالي: تفكيك الخطاب الدينى التقليدى(٢) – الوطن (elwatannews.com)".

ولا يعرفون –ولا يريدون أن يعرفوا– أن من المنطق الفاسد والخطل الزعم بأن أى علوم بشرية هى مبادئ وقواعد يقينية مطلقة تصلح لكل زمان ومكان"[١].

ويخلص عرض الحجة التي يسردها "الخشت"، إلى أن "كل ما جاء بعد ذلك فى التراث ليس «دينًا»، بل هو مجرد اجتهادات بشرية فى فهم الدين واستنباط الأحكام، يصيب فيها مَنْ يصيب ويخطئ فيها مَنْ يخطئ، ولا يحمل أحد صكًّا إلهيًّا، وليس لبشر العصمة سوى الرسول المعصوم فى أمر الدين بالوحى؛ فالقرآن الكريم –بحسب ما جاء فيه– لا توجد فيه آية واحدة تعين شخصًا سوى الرسول، صلى الله عليه وسلم، للحديث باسم الحقيقة الدينية، بل إن القرآن يقرر أن الرسول نفسه إنما يصدر عن الوحى ولا عن نفسه، وهذا مكمن الرسالة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ – ٤]، كما أن الرسول الكريم لم يرد عنه فى أى حديث متواتر تحديد شخص بعينه ليحمل الرسالة بعده، بل القرآن يذم طاعة السادة والكبراء دون برهان محكم وحاسم لمجرد أنهم سادة وكبراء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٧].

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب التقليدي الديني (١)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٥/٣١، متاح على الرابط التالي
:تفكيك الخطاب الديني التقليدي (١) – الوطن(elwatannews.com)

ويشير المفكر الفيلسوف إلى سرد تاريخية ظهور دين الإسلام، موضحا أن هذا المنطلق يرتبط بمفهوم "**غاية الإسلام**"، ويشير إلى أن إحدى أهم مميزات الإسلام كدين أنه نزع القداسة الإلهية عن البشر مهما بلغت مرتبة هذا البشر، على خلاف أديان أخرى؛ وهذه هى رسالة التوحيد الخالص، ورسالة تحرير الإيمان من الشرك بالله؛ فعبادة الله الواحد هى غاية الإسلام النهائية، وهذه هي النقطة التى يلتقى عندها كل شىء فى الكون، حسب قول المفكر المجدد. ويرتبط ما سبق من مفهوم (غاية الدين)، بمصطلح آخر يلفت له العرض الفكري للخشت، وهو مفهوم (التوحيد)، منوها إلى أنه لا يعني فقط توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء الحسنى، وإنما أيضًا توحيد المرجعية الدينية؛ فالله وحده هو المقدس، ومعرفة مقاصده تكون من خلال كلمته التى اكتملت يوم أن أعلن ذلك، ومعرفة معانى هذه الكلمة يكون من خلال رسوله الكريم المكلف بإيصال الرسالة وبيانها للناس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤]، وكلمات الرسول نفسه، صلى الله عليه وسلم، هى أحاديثه التى ثبتت صحة نسبتها إليه ثبوتًا يقينيًّا بلا خلاف بين علماء الحديث، أما ما سوى ذلك فهى مجرد أحاديث موضوعة كذبًا عليه، أو ضعيفة، أو ظنية الثبوت.

ومن خلال طرح أسس علم المنطق، يشير "الخشت" بأنه لا يعقل أن نأخذ من الأحاديث الموضوعة كذبا أو ضعيفة أو ظنية الثبوت دينًا؛ لأن

الدين يُبنى على اليقين ولا يُبنى على الظن والاحتمال، وليس كل ما هو منسوب إلى النبى صحيح النسبة إليه، بل منه الصحيح بدرجاته، والحسن بدرجاته، والضعيف، والمرسل، والمنقطع، والموقوف، والمعلق، والمدلس، والمعنن، والمؤنن، والمقلوب، والمتروك، والمنكر، والمعلل، والمدرج، والمضطرب، والمصحف، والشاذ، والموضوع كذبًا[١].

ويردف "الخشت" بالتأكيد مجددًا على أن الإسلام هو الإسلام وليس المسلمين، إنه القرآن والسنة الصحيحة فقط، وقد اكتمل الدين فى اللحظة التى أعلن فيها القرآن هذا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣] ومن ثم فكل ما زاد على ذلك مجرد اجتهاد بشرى يصيب ويخطئ، والإسلام الحر ليس إسلامًا آخر، وإنما الإسلام نفسه فى طبعته الأولى الأصلية دون أقنعة أو تلوين سياسى أو اجتماعى من أجل مصالح فئوية. إنه عودة لمنابع النهر الصافية: القرآن والسنة الصحيحة.

ويعرج "الخشت" على تاريخية نشأة معظم التيارات التى انبثقت فى التاريخ الإسلامي، منتهيا إلى أنها فهمت الإسلام وفق فهم بشرى (خاص)، ولا يمكن الجزم بزعم فصيل أن فهمه للإسلام هو الحق المطلق، وما سواه باطل مطلق؛ لأن هذا هو منشأ التكفير والتفجير، والانشقاق والصراع

١- محمد الخشت، "المقدس والبشري في الإسلام"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٢/٢٨ متاح على الرابط التالي: المقدس والبشرى في الإسلام – الوطن . (elwatannews.com)

المميت، بحسب طرحه، مشيرًا إلى ضرورة "العمل على تحرير التصور الأصل من الشوائب المشوهة التى لحقت به، سواء من البدع فى مجال العبادات، أو الابتداع فى مجال السياسة؛ حتى يبرأ الأصل من شبهات الصور المزيفة له، ويعود هذا الأصل إلى جذره «الحر» فى أصوله الأولى النقية: القرآن والسنة الصحيحة".

ويخلص عرض "الخشت" لهذا المنطلق إلى أن بداية تحرير المفهوم تكون باللغة، لكنها ليست اللغة فى عالمها الضيق الحرفى، بل اللغة فى فضائها الحر، واللغة فى هذا الفضاء هى صورة الفكر؛ فالفكر هو الذى يصنع اللغة، فهى صورته وليست أصله، على عكس بعض تيارات التعصب والانغلاق التى تفكر حسب حرفية اللغة فتقع فى التشدد؛ حيث يصبح المعنى أسير الحرف[١].

ب-التجديد يبدأ من "تفسير النص الديني في ضوء الواقع المتغير":

يوضح "الخشت" سياق المنطلق المتعلق بضرورة التجديد للخطاب الديني في ضوء الواقع المتغير، بأنه فى الوقت الذى انتصر فيه الوحى على خرافات وأساطير الأولين، عادت تلك الخرافات والأساطير مرة أخرى متسللة عبر كتب العقائد والتفاسير والتواريخ وغيرها، تحت زعم قداسة أقوال بعض البشر، وأصبحت تلك المرويات بمثابة العدسات الملونة التى ينظر منها البعض إلى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتواترة، وقام بعض

١- محمد الخشت، "الإسلام الحر.. العودة إلى المنابع"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٣/١٠/٢٦، متاح على الرابط التالي: **الإسلام الحر.. العودة إلى المنابع - الوطن (elwatannews.com)**

الوضاعين بنسبة مجموعة منها إلى النبى صلى الله عليه وسلم زورًا وبهتانا[١]. ويطرح في سياق هذا المنطلق مفهوم "الإسلام الحر" الذي يبين موقفه من حرية الاعتقاد الدينى الذي لا مجال للجدل فيه، والتي تكمن المشكلة فيه من خلال ممارسات بعض المسلمين الذين يتأسلمون أكثر من الإسلام نفسه، حسب تعبيره، رغم أن نصوص القرآن قطعية الدلالة؛ مدللا بقول الله (تعالى): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾. موضحا أن الدين الحق واحد، فقد سمح القرآن بتعددية الأديان فى الواقع الفعلى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ**﴾، بل اعتبر الاختلاف بين الناس أمرًا طبيعيًا وسنة من السنن الكونية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨]، وأن الذى يفصل بين الناس هو الله (تعالى) وحده يَوْم الْقِيَامَة؛ فلا قاضي آخر يمثله، ولا أحد يتحدث باسمه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

ويدلل "الخشت" من واقع التاريخ الإسلامي على أن هذه النصوص لم تكن بمعزل عن الواقع، فمثلما يشير: "تجلت فيه على أنحاء شتى، سواء على مستوى حركة المجتمع، أو على مستوى ممارسات الدولة"؛ فعمر بن الخطاب رأس الدولة جاءته امرأة مشركة تطلب حاجة لها، فدعاها إلى الإسلام لكنها رفضت، فقضى لها حاجتها، وشعر أنه ربما يكون تصرف

١- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (٩)"، مقالل، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/١١/١٥، متاح على الرابط التالي: ضد التصور الأسطوري للشيطان (٩) - بوابة الأهرام (ahram.org.eg)

بشكل فيه نوع من الإكراه المعنوى لها على الإسلام تحت ضغط الحاجة، فاستغفر الله على ما فعل، وقال: «اللهم إنى أرشدت ولم أُكره»[١].

ويتوقف تحليل "الخشت" عند سرد أهم تجليات الخطاب الدينى التقليدي وتتمثل فى "أن أتباعه يعطون له معان لا تعكس مقاصده، ولا تبالى بسياق آياته، ولا تفسر الكتاب بالكتاب، ولا تراعى قواعد اللغة والأساليب العلمية لفهمها واستنباط الأحكام منها، فهم يختزلون النص فى مجموعة من آياته معزولة عن مجموع النص، ويأخذون حرفيًّا بالحدود والغنائم، عازلين السياق التاريخى والثقافى، ضاربين بالمقاصد العامة للنص عرض الحائط"، وأن نتيجة ذلك كان تخريج فكر التطرف ممن لا يعرفون إلا "الجنس والدم والانتقام، كائنات تطبق فلسفة مكيافيللى بغباء تاريخى منقطع النظير إلا فى عصور الجاهلية الأولى".

ويصور تعبير "الخشت" هؤلاء المتطرفين في فهم الدين، بأنهم "يفسرون النص فى ضوء ثقافة رجعية تكوّنت عقولهم فى رحمها، وأصبحوا سجناء لها، لا يستطيعون تجاوزها إلى أية حقيقة أو واقعة ما خارج عقلهم الجامد المتخشب، مهما كانت تلك الحقيقة ظاهرة وعينية فى الواقع الخارجى". ويذهب المفكر المجدد إلى أن ضياع معانى النص الموضوعية مع تيارات التشدد السجينة فى ثقافة رجعية أعطى للتفكيكيين الجذريين

---

١ - محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (١٢)"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ١٢/٦/ ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: "https://gate.ahram.org.eg/News/2539471.aspx"

المتشددين مبررًا لرفض النص وإنكار موضوعية أى «معنى» له؛ والنظر إلى «النص» باعتباره ممزق المعنى ومفكك الدلالة، فليس له وحدة معنى وليس له مركز ثابت[١].

لكنه يعود إلى ذكر المنطلق الأول لرؤيته في تجديد الخطاب ويشير إلى أن "الدين نفسه لا يتجمّد، لكن الذى يتجمد هو عقول فسرت النصوص القرآنية والنبوية الواضحة والمباشرة، بأيديولوجيات عقيمة تجمدت معها المنظومة العقائدية والتشريعية فى كهنوت بشرى يتخفى فى ثوب إلهى. وهنا لا بد من تفكيك الفكر الإنسانى المتصلب والمتقنع بأقنعة دينية؛ حتى يمكن كشفه أمام نفسه وأمام العالم"[٢]. ويستطرد بأن عمى بعض المسلمين فى عصرنا ليس عمى عين وإنما عمى ثقافة، وعمى الزاوية الواحدة التى ينظرون منها، وهى زاوية الموروثات الاجتماعية وزاوية المصدر الواحد للمعرفة؛ فهم حسب قوله "يخلطون بين موروثاتهم الاجتماعية والتصوّر الإسلامى النقى والشامل؛ ولذا يعتقدون أنهم يحتكرون الفهم الصحيح والأوحد للإسلام، ويبدون تعصّبهم مع المختلفين معهم. مثل البدو الذين يضفون على الإسلام الطابع البدوى، فلا يرون فيه إلا سلطة الرجال وعزل المرأة، والمعاداة للفن والحضارة. أما العلمانيون فهو عندهم علاقة فقط بين العبد وربه، ولا شأن له بصلاح الحياة العامة، أما الكتلة الصامتة فالإسلام عندها هو دين المناسبات. وينبه "الخشت" إلى أن كثيرًا من المسلمين

---

١ - محمد الخشت، "تفكيك الخطاب التقليدي الديني (٦)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٧/٥، متاح على الرابط التالي:
" تفكيك الخطاب الديني التقليدى (٦) - الوطن(elwatannews.com)

٢ - محمد الخشت، "تفكيك الخطاب التقليدي الديني (٦)"، **مرجع سابق**.

يخلطون بين معتقدهم الدينى ومواقفهم السياسية ذات الطابع الإنسانى المتغير؛ فالإسلام يشتمل على أصول الحكم السياسى العادل. وأن الكارثة حسبما يقول، تكمن فى أن يعتبر أى شخص أن مواقفه السياسية المتغيّرة والمرتبطة بالمصالح والطبقة والجماعة التى ينتمى إليها هى "تعبير عن الإسلام الخالد نفسه!"، مردفا بأن بعض رجال الدين الذين يتخذون الدعوة إلى الإسلام مهنة وليس رسالة؛ حوّلوا الدين الأصلى إلى مؤسسات ذات سلطة ومرجعية تحتكر الحقيقة، وتركز على الشعائر والمناسبات أكثر مما تركز على نقاء الضمير واتساق القول والفعل، وتركز على الشكل والحرف أكثر مما تركز على الجوهر والعقل والإنسان، وتبرّر للحكام قراراتهم ومصالحهم؛ بينما رؤية الإسلام أوسع من ذلك بكثير: الكون، الإنسانية، الحضارة، التاريخ، العدالة الاجتماعية، الإنصاف، الخير والرحمة للعالمين. وينتهي "الخشت" في عرضه لأبعاد هذا المنطلق إلى ضرورة عدم الخلط بين الإسلام كدين فى حد ذاته، والإسلام كما يفهمه ويمارسه بعض المسلمين فى ضوء ثقافتهم المحدودة وعقائدهم الجامدة ومصالحهم الخاصة، حيث ينتج من ذلك حتمية عدم اتهام الإسلام كدين بأى صفة سلبية نتيجة الفهم القاصر الذى تقع فيه كل هذه الطوائف[١].

ج- **التجديد يبدأ بـ"تحرير العقل النقدي من قيوده"**:

انطلاقا من مفهوم **(العقل النقدي)**، يسجل محمد الخشت واقع التراث الديني، الذي يُرَوَّج فيه لبعض الأساطير على أنها وحى إلهي، وأن العالم مجموعة من الأشباح والعفاريت والشياطين، يغيب فيها الواقع الحقيقى

١- محمد الخشت، "الرؤية الأحادية للإسلام"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٣/١٠/١٢، متاح على الرابط التالي: الرؤية الأحادية للإسلام - الوطن(elwatannews.com) .

والظواهر الكونية البهية التى خلقها مبدع واحد أحد، وتتراجع فيه آيات الله الكونية المطردة لصالح عقائد تقرن كل فعل وكل ظاهرة كونية بالجن والشياطين، عالم يغيب فيه النور بسبب عقول تنظر بعدسات أسطورية لكل شيء. ويضيف بأن السبب في ظهور عالم الهلاوس والوسوسات يتحدد في غياب العقل النقدي، و"الذين يقتاتون من السيطرة على العقل بالأوهام، فيجعلون بينهم وبين الوحى المقدس النقى عتبات من الروايات الخرافية، ويجعلون بينهم وبين الكون المنير عتبات من عوالم الظلام اللامرئية! حيث تغيب علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء لصالح عوالم السحر والشعوذة، هذه العوالم التى تسللت أفكارها إلى الدين الخالص تحت قناع من الروايات الضعيفة والمزيفة والكذوبة التى ليس لها أصل فى القرآن والسنة المتواترة"[١].

ويذهب "الخشت" إلى توصيف تأثير أبعاد غياب العقل النقدى والوحى الخالص، حيث تسود ظواهر التخلف؛ فيفتى ويختلف الجميع فى عالم الغيب، ويشغلون عقولهم بقضايا بعيدة عن الواقع وعن حدودهم المعرفية، ويستشهدون بأحاديث منسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم، بعضها ضعيف السند، وبعضها معارض للقرآن الكريم، وربما يكون بعضها صحيحًا لكنه لا يصل إلى شرط المتواتر الذى يُؤخذ به فى العقائد. ويضرب "الخشت" نموذجا على أحد قضايا الواقع المعيش، وهي أننا إزاء موقفين متطرفين من السينما: موقف فوضوى متسيب، وموقف متشدد محرم، فكلاهما –حسب قوله– يعبر عن وجهة نظر ضيقة الأفق، وعقل مغلق؛ فالعقل المغلق ليس سمة للمتشددين فى الدين فقط، بل سمة أيضًا

١- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (١٢)"، **مرجع سابق**.

للفوضويين –بحسب تعبيره– الذين يريدون أن يفرضوا رؤيتهم للحياة على الجميع دون مسئولية ودون شعور بالتزام تجاه المجتمع، وبقدر رفض التطرف فى التشدد والتحريم، يكون رفض الإفراط فى الإباحية والتحلل من مصفوفة القيم الإنسانية[١].

وفي موضع آخر، يلفت "الخشت" الانتباه إلى **مفهوم الإبداع في علوم الدين وتجديد فهم المسلمين للدين في جانبه المتعلق بالحياة**، من خلال الحديث النبوي الذي بشّر بمجيء مجدد لأمر الدين على رأس كل مائة عام، أي مجدد للخطاب الديني بغية تخليص فهم الدين من العنصر التاريخي ذي الطابع المؤقت الجزئي والعرضي، مع التدبر والتنقيب لاكتشاف ما هو دائم وكلى وجوهري في الدين، ومع ذلك يتنوع في معناه ليلائم التطور الحادث في ظروف الناس والمجتمع والتاريخ[٢].

ليعود بعدها إلى ذكر أن التاريخ الثقافى لهذه البقعة من العالم يحوى تناقضات وصراعات مصالح موروثة من عصور صراع المذاهب والفرق الدينية على السلطة والإمامة منذ لحظة مقتل عثمان (رضى الله عنه)، وأن العالم فى أغلبه دخل عصور الحداثة، بينما نحن لا نزال نعيش أجواء الماضى، لا نزال نعيش فى «زمن واحد» منذ مقتل عثمان (رضى الله عنه) وإلى الآن، ولم ندخل بعد "زمنًا جديدًا"، وأن "هذا الزمن الذى نعيشه

١- محمد الخشت، "الإسلام والسينما وحرية الإبداع (٣-٣)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٤/٥/١٨، متاح على الرابط التالي:
https://www.elwatannews.com/news/details/484641

٢- محمد الخشت، "صلوات النور والحياة في ذكرى مولد الحبيب"، مقال، جريدة الاهرام، عدد ٢٠٢٠/١١/١، متاح على الرابط التالي: **صلوات النور والحياة فى ذكرى مولد الحبيب - بوابة الأهرام (ahram.org.eg)**

هو زمن «الحروب الطائفية»، التى يسكنها ويحركها العقل المغلق، ومن هنا تجدنا فى دائرة مقيتة من التعصب الذى يولّد تعصبًا مضادًّا فى دائرة جهنمية لا تتوقف ولا تنقطع، وأن هذه الدائرة الجهنمية المغلقة تولد الإرهاب بكل الجوانب اللاعقلانية فيه، وبكل ما ينطوى عليه من «تناقضات باطنية» تحركه على مستوى الأفكار وعلى مستوى الواقع[١].

ومن خلال هذا المنطلق يشير المفكر المجدد إلى قضية أخرى ترتبط بأساس المعيشة داخل المجتمع فى الإسلام، وهي تلك القائمة على التعددية وحماية الجماعات الضعيفة والأقليات، ومحاربة التمييز ضد حقها فى الحرية، حيث يشير إلى "ضرورة استعادة هذه المفاهيم المدنية وتقنينها فى الدستور والقانون وتوسيع نطاق دورها وتدريب الناس عليها، حتى يتحولوا إلى كائنات حرة مسؤولة دون قهر أو إقصاء، وأيضًا دون فوضى أو عشوائية.. إنها معادلة صعبة".

وختاما فالذي أراد أن يستنبطه "الخشت" من هذا كله لا يخص فقط المتشددين من الإسلاميين، الذين يحتكرون الحقيقة، بل يخص المتطرفين من العلمانيين، الذين لا يقلون عنهم في ادعاء احتكار الحقيقة، فيما يقرر الخشت، فيقول "على الرغم من اختلاف المقاصد بين الاثنين فإن «ماكينة التفكير» واحدة، وتنتج طحينًا من النوع نفسه، الفرق فقط في اللون لا في الطعم!، إنها مأساة العقل السياسي المصري المحكوم ببنية واحدة رغم اختلاف الثوب الخارجي"[٢].

١- محمد الخشت، " اللاعقلانية ولعبة الموت: هل نعيش في «زمن واحد» منذ مقتل عثمان؟"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٩/١٩، متاح على الرابط التالي: **https://www.elwatannews.com/news/details/772188**

٢- **المرجع السابق نفسه**.

د-التجديد يبدأ من "الاهتمام بإثارة فكرة الشك المنهجي":

ويجسد هذا المنطلق الذي يطرحه "الخشت"، الاستشهاد الذي صاغه من القصص القرآني، لنماذج الإيمان الدالة على هذا المعنى، ومنه نموذج نبي الله إبراهيم، عليه السلام، فما من حقيقة كبرى في دعوته إلا ومعها «طرق التوصل إليها»، حسبما يقول، فالحقيقة وحدها لا تكفى، بل الطريقة أو المنهج. فالعلم ليس سوى المعلومات عند أهل الحفظ، أما أهل العلم فالعلم عندهم ليس المعلومات فقط، إنما العلم هو المنهج، هو الطريقة، فالمنهج هو ما يصنع العلم وهو ما يصنع العلماء، وهذا هو ما نحتاجه ليس فقط لتأسيس عصر ديني جديد، بل كذلك لتأسيس عصر علمي جديد.

ومن المنظور الفلسفي يلفت "الخشت" إلى أن نبي الله إبراهيم، قام بتحليل الفكرة أو الأفكار، وسار فيها من البسيط إلى المركب، ثم راجع كل ما قام به من خطوات سابقة حتى يتأكد أنه لم يخطئ وأنه لم يغفل شيئًا. ويستشهد "الخشت" في كتابه «مقال عن المنهج لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم» بأربع قواعد يجب مراعاتها في كل منهج يبحث عن الحقيقة، وتكفى هذه القواعد، إذا ما تم اتباعها بدقة، للوصول إلى اليقين، تُعرف هذه القواعد على التوالي باسم: البداهة، التحليل، التركيب،

الإحصاء والمراجعة[١].

ويستطرد المفكر المجدد بأن "عظمة دعوة إبراهيم لا تكمن فقط في العقائد التي آمنت بها ودعت إليها، إنما أيضًا في منهج إحكام قيادة العقل وطريقة البحث عن الحقيقة. كيف؟ من أكثر الأمور الجاذبة لى في إبراهيم (عليه السلام) أنه صاحب عقل منضبط، لا يؤمن إلا بدليل من الوقائع الخارجية التجريبية، مثل حالة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ..فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ..﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أو بدليل من الاستدلال العقلى المسنود بالتدبر في الظواهر الكونية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، أو بحجة عقلية خالصة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ – ٦٧]، إضافة إلى قدرته على إبطال مغالطات أصحاب العقول العنكبوتية (ومثلهم كثير في عصرنا)، من أقصر طريق وفى كلمات قليلة. والخلاصة أنه إذا أردنا أن نوصّف «منهج» أبى الأنبياء سنجده قائمًا على شك منهجى في البداية، ثم استدلال عقلى محكم مستند إلى ظواهر كونية تارة، ومستند إلى دليل من

١- محمد الخشت، " «الشك المنهجي» وتأسيس عصر ديني جديد (٧) "، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٤/١٩، متاح على الرابط التالي: «الشك المنهجي» وتأسيس عصر ديني جديد (٧) - الوطن(elwatannews.com)

(وقائع تجريبية) تارة أخرى، ومستند إلى حجة عقلية برهانية تارة ثالثة، وفى كل مرة الوحى حاضر مثل الضوء الذى ينير الطريق أمام العقل والحواس والبصيرة. لكل هذا لن ندخل عصرًا دينيًّا جديدًا بدون إصلاح مناهج التفكير لإحكام قيادة العقل نحو الصواب[١].

وقياسا على ما سبق، ففي التفكير الدينى المنضبط الذى يلح عليه القرآن الكريم، وأيضًا في التفكير العلمى الدقيق الذى تقدمه لنا مناهج البحث العلمى، يكون الخروج من حالة الشك المنهجى بدليل عقلى برهانى أو بدليل استدلالى تجريبى أو سلطان حسى مبين، وليس بقول «ولى» أو «داعية» أو «أمير جماعة». مرة أخرى نجد أمامنا تجربة أبى الأنبياء إبراهيم في رفض وصاية البشر وفى عدم الاحتجاج إلا بدليل عقلى برهانى أو بدليل استدلالى تجريبى أو بسلطان مبين من الوحى أو الحس، فعندما أراد كبار القوم والكهنة فرض وصايتهم عليه، شككه عقله في معتقداتهم المستقرة، ورفض ذهنه رؤيتهم للعالم التي تنسب العلل إلى غير مصدرها، ولم يستطع أن يهضم فكرة الأصنام أو تأليه مظاهر الطبيعة أو تأليه البشر أو الحاكم، لكنه لم يقف عند هذا الشك على أنه أمر نهائى، مثل أتباع مذهب الشك في العصر الهيلينستى، إنما واصل السعي نحو الحقيقة، وبالفعل وصل إليها حينما أدرك أن هناك إلهًا واحدًا لا شريك له، منزَّهًا عن

١- محمد الخشت، " «الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد (٦) "، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٤/١٢، متاح على الرابط التالي: **«الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد (٦) - الوطن(elwatannews.com)**.

كل ما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه. فالشك المنهجى هو سنة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ولولاه لما وصل إلى الحقيقة، عندما شك في عقائد قومه في الأوثان والكواكب والنجوم، وفق مراحل في «الاستدلال العقلى» تم ذكرها في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٩]. ويختتم "الخشت" رؤيته لهذا المنطلق بالإشارة إلى أنه مع إبراهيم بدأ دين جديد يرفض التقليد، ومع ديكارت ورفاق عصره تم الشروع في تأسيس عصر جديد وخطاب ديني جديد تراجع فيه لاهوت العصور الوسطى الذى كان يحتكر فيه رجال الدين في أوروبا الحقيقة الواحدة والنهائية. قام قوم إبراهيم عليه السلام بحرقه، لكنه نجا بمعجزة، وقام كهنة العصور الوسطى بإقامة محاكم التفتيش حيث كل وسائل القتل والتعذيب[١].

هـ–التجديد يعني "ضرورة تفكيك الخطاب الديني التقليدي":

"الخطاب الديني التقليدي".. ثلاث كلمات دارت حولها منطلقات محمد الخشت السابق ذكرها واللاحق أيضا عرضها، ففي دعوى تفكيك

١- محمد الخشت، **"«الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد"**، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٣/١، متاح على الرابط التالي: **«الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد - الوطن(elwatannews.com) .**

الخطاب الديني التقليدي ينوه إلى أن تلك العملية –يقصد تفكيك الخطاب الديني التقليدي– جاءت بعدما ثبت تسلل معتقدات ضالة إلى معتقدات بعض المسلمين من خلال كتب تزعم أنها دينية، وللأسف أيضا سقط بعض العلماء في براثن الإسرائيليات والحكايات الموضوعة والروايات الضعيفة، بل سقط فيها أيضا بعض المفسرين مثل الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم، حسب قوله.

وفي مقابل خطاب ديني تقليدي يتضمن كثيرا من العناصر الأسطورية في رؤيته للعالم، فإن الخطاب الديني الجديد –كما يسوق الخشت– يسعى للعودة في المعتقدات إلى نقاء الوحي وحده في إطار العقل النقدي الذي يميز بين حدود الإيمان الخالص من جهة، وعالم الخرافة والأساطير من جهة أخرى، فالوحي النقي المحتكم للواقع والتعقل يحرر المعتقد من ضلالات الاهتزاز النفسي، وأوهام الوجدان، وخيالات النفس، والموروثات الشعبية، وخرافات الأساطير والسحرة ورجال الدين والكهنوت والديانات المحرفة والوضعية.

ويتعرض "الخشت" لمسألة تناول الخطاب الديني التقليدي لفكرة "قدرة الشيطان وحدوده"؛ حيث تختلف في الوحي الإسلامي بوضوح عن كل الديانات الوضعية، كما تختلف عن الخطاب الديني التقليدي عند المسلمين، في تفسير وجود الشر الأخلاقي في العالم، وفي النظر إلى الشيطان من حيث طبيعته ودوره، وكيفية التغلب عليه، فضلا عن وجود

عناصر أخرى في الإسلام غير الشيطان لتفسير الشر الأخلاقي في العالم. ويرى "الخشت" أن الإسلام استطاع التخلص من أساطير القدماء ومن أوهام البشر ومن مغالطات بعض رجال الدين والكهنوت المتأثرين بالديانات الوضعية والمحرفة، وإن الشر الأخلاقي موجود من أجل إمكان الحرية الإنسانية؛ لأنه يمتنع القول إن الإنسان حر إذا كان مجبولا على الخير فقط. ولا يكتسب فعل الخير ميزته إلا إذا كان فعل الشر ممكن الحدوث. ومن هنا يمكن القول إن الإسلام لا يقول بطبيعة شريرة في الإنسان، وإنما إمكانية للشر وللخير، موجودة في الإنسان كأساس ضرورى للحرية، فإمكانية الشر والخير هى التى تجعل الحرية ممكنة، والشر الأخلاقي ليس محركه وساوس الشيطان فقط، بل النفس أيضا عندها القابلية؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧ – ١٠]. فلا يتصور المرء إرادة حرة دون أن يكون لديها إمكانية فعل الخير وإمكانية فعل الشر[١].

ويميط "الخشت" اللثام عن أهم تجليات الخطاب الدينى التقليدى في التعامل مع النص، حيث يقوم أتباعه بإعطائه معاني لا تعكس مقاصده، ولا تبالى بسياق آياته، ولا تفسر الكتاب بالكتاب، ولا تراعى قواعد اللغة والأساليب العلمية لفهمها واستنباط الأحكام منها، وأكد على مجموعة من

١- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/٩/١٣، متاح على الرابط التالي: ضد التصور الأسطورى للشيطان - بوابة الأهرام(ahram.org.eg)

القواعد لا بد من مراعاتها، من بينها: قاعدة "أن كل قراءة ليست موضوعية، وكل تأويل هو نسبى، وكل محاولة لإدراك النص ليست نهائية؛ فالنص يظل يُمعن في الخفاء أبدًا"، وأكد أيضًا على ما أشار إليه من أن "الإنسان «سجين اللغة»، ولا يستطيع عبورها إلى الواقع، بل إن اللغة هى مرآة غير دقيقة للواقع الذى نعرفه من خلالها، والإنسان لا يستطيع تجاوز ذاته إلى حقيقة ما خارج الذهن، فالموضوعية غير ممكنة؛ ولا شك أن في هذا عودًا من جهة للذاتية المفرطة المنكرة لوجود المعنى الموضوعى، وعودًا من جهة أخرى للاأدرية التى تعتبر أيضًا أحد جذور النزعة العدمية".

وهناك جانب غامض في اللغة، يترك مساحة لتأويلات عديدة، لكن بقوله "لا شك أيضًا أن هناك جانبًا يحمل معنى محددًا، ولولا هذا الجانب لما استطاع البشر التواصل، ولولاه لما استطاع أي شخص أن يعبر عن أفكاره هو شخصيًّا "[١]. فلا مفر عند تجديد الخطاب الدينى –كما يطرح الخشت– من تفكيك كل التأويلات المغرضة والجهولة بطبيعة النص، والتى حوّلت القرآن عن معناه الأصلى إلى أداة سياسية أحيانًا وإلى غطاء للأساطير أحيانًا أخرى، وهذه التأويلات –سواء كانت مغرضة أو جهولة– في «بعض» كتب التفسير الذائعة تجدها مستندة إلى إسرائيليات ومرويات موضوعة أو ضعيفة.

والتفكيك الذى يدعو إليه "الخشت" هو النقد والتحليل العقلانى الذى يتمركز حول العقل المعيارى، ولا ينكر الحقيقة الموضوعية، بل يدعو إلى

١ - محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٦)"، **مرجع سابق**.

اكتشافها، ولا ينكر وجود قيم مطلقة، بل يتحرى الوصول إليها بمعايير علمية صارمة. ولا يتنكر للإلهى، بل يقصد إليه شعوريًّا في عملية توحيد خالية من الشرك ليس في العقيدة والعبادة فقط، بل في المعاملات والحياة أيضًا، ومن ثم تمييز «الإلهى» عن «البشرى» في الفكر والعلوم، ونزع القداسة الإلهية عن المرجعيات البشرية التى تنتحل الصوت الإلهى وتتحدث باسم الحقيقة المطلقة[١].

وبالعودة إلى حركة التاريخ، يؤرخ "الخشت" لمحاولات التجديد لدى دعاة الإصلاح، موضحا أن أيًّا منهم لم يقم بمحاولة «تطوير علوم الدين»، بل قاموا «بإحياء علوم الدين» كما تشكلت في الماضى، ولم يقوموا بالعودة إلى الكتاب في نقائه الأول، بل عادوا إلى المنظومة التفسيرية التى أنتجتها ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية لعصور غير عصورنا، ومن هنا استعادوا كل المعارك القديمة: معارك التكفير، ومعارك الهوية، ومعارك فقه الحيض والجنس والجسد، ومعارك التمييز بين الجنسين، ولم يدخلوا المعارك الجديدة: معارك التنمية، ومعارك إنتاج العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والإنسانية، ومعارك الفساد، ومعارك الحرية، ومعارك الفقر والجهل والأمية، ومعارك الدفاع عن الدولة الوطنية، ليخلص بعدها إلى ذكر أن تفكيك الخطاب التقليدى والبنية العقلية التى ترقد وراءه بات ضرورة ملحة[٢].

---

١ - محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٣)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٦/١٤، على الرابط التالي:
https://www.elwatannews.com/news/details/750955

٢ - محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (١)"، جريدة الوطن، منشور في ٢٠١٥/٥/٣١، على الرابط التالي: **تفكيك الخطاب الدينى التقليدى (١) - الوطن (elwatannews.com).**

ويعدد "الخشت" من الأمثال التي يحتويها الخطاب الديني التقليدي المراد تفكيكه، ما ورد في كتاب إحياء علوم الدين، للغزالي الأشعري، فيستند إلى ما استقر عليه علماء الحديث والتخريج، ومنهم الحافظ العراقي، من أن هذا الكتاب ملىء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومع ذلك يعد من الكتب المرجعية في الخطاب الدينى التقليدي، بل يدعى بعض أنصار الخطاب الدينى التقليدى قداسة كتاب الإحياء؛ حيث يقول: «لو اجتمع علماء المسلمين كلهم ما استطاعوا أن يصنفوا مثله»[١].

ويربط "الخشت" هنا بين أركان البلاء في الخطاب الدينى التقليدي، المتمثلة في تقديس تلك المصادر الثانوية في فهم الدين، وامتداد تلك الظاهرة من التقديس إلى تلك الصادرة عن شخصيات بشرية تخطئ وتصيب لمجرد انتمائها لفرقة دينية أو زعمها امتلاك علم الأولين، بما يمثل انحرافا عن الطريق إلى الدين الخالص، ولا شك أيضا أن من يزعم هذا يُخلِّط بعيدا عن وحى الواحد الأحد في كتابه المبين. وهذا النوع من التقديس المزيف منتشر ويقتات منه جمع غفير من زعماء القداسة الفارغة، وتقع في براثنه قطاعات من الناس بحسن نية دون أن تدرى أنها بذلك تعرض نقاء إيمانها للخطر[٢].

---

١ - محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (١٠)"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/١١/٢٢، متاح على الرابط التالي:
https://gate.ahram.org.eg/News/2532515.aspx

٢ - مرجع سابق، مقال د. محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (٩)"، مقال، **جريدة الأهرام**، عدد ٢٠٢٠/١١/١٥.

و-التجديد يعني "الوعي بمخاطر العقل المغلق":

يرى "الخشت" أن المتعصبين ضد محاولات تجديد التراث الديني لا يقرؤون، والأعجب أنهم لا يستمعون، وإن استمعوا لا ينصتون، فينسبون للمتحدث كلاما لم يقله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وهذا دأب الكهنة المزيفين قديما وحديثا، ودأب جماهيرهم التي تنقاد وراءهم انقياد القطيع إلا من له عقل نقدي يراجع به نفسه[١].

ومشكلة المتطرفين التي يفندها المفكر المجدد، أنهم يتحركون بعقول مغلقة تعود للإسلام ظاهرًا، والجاهلية روحًا ومقاصد، وأن مشكلة التفكيكيين العرب أنهم يسيرون حذو النعل بالنعل مع التفكيكية الغربية التى جاءت كتمرد على أنساق الحداثة. وكلا الطرفين يقدم فلسفة للتشظى والهدم والإقصاء، وكلاهما يشتركان في رفض الحداثة![٢].

وهذا ما أدى -بحسب الخشت- إلى تفشي ظواهر التكفير والتفجير والحرق المميزة للموجة الثالثة للإرهاب ضد الشعوب والجيوش العربية، التى تستخدمها حروب الجيل الرابع والتى أطلقتها قوى الإمبريالية العالمية، التي لا مرجعية لها سوى عقول مختلة استندت إلى أقوال شاذة مقتطعة من سياقها وبلا سند تاريخى صحيح، عقول استقت دينها من «قاع التراث» أو

---

١ - محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (١٥)"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/١١/٢٢، متاح على الرابط التالي:
https://gate.ahram.org.eg/News/2550017.aspx

٢ - محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٤)"، **مرجع سابق**.

من «مرويات ضعيفة» أو من «أقوال فقهاء» ربما تصلح لعصرها، لكنها لا تصلح لعصرنا[١].

ويربط "الخشت" بين تلك «الرؤية اللاهوتية غير العلمية للعالم» التي تجد أقوى زخم لها في التقليد والاتّباع الأعمى، وبين زعم امتلاك الحقيقة المطلقة في الدين والفقه والتفسير والسياسة، مُرجعا سبب ذلك إلى حالة التراجع العامة، والتطرف الدينى والسياسى الذي يكمن في هذه الرؤية المحكومة بالتقليد والتبعية المطلقة –دون عقل نقدى– لبعض العلماء أو الدعاة، والطاعة العمياء لقادة الجماعات، والحفظ دون العقل، ودون تحمل مسؤولية التعامل المباشر مع القرآن والسنة الصحيحة، وذلك في حالة غريبة من مخالفة التعاليم القرآنية الواضحة، وتوجيهات النبى الحاسمة التى ترفض التقليد واتباع ما سوى الله ورسوله. وهذا أمر يدخل في لب مفهوم الدين، وفى التعامل الخاطئ مع هذا المفهوم، فمن معانى الدين «الطاعة»[٢].

ز–التجديد يعني "الرجوع للنص الأصلي والبعد عن التأويلات المغرضة":

ومن هذا المنطلق، يوضح الخشت أنه في التفكير الدينى الأسطورى نرى القرآن للزينة المقدسة، وفى التفكير السياسي الأسطورى نرى القرآن على أسنة السيوف، وهذه كلمة حق يراد بها باطل. وفى التفكير الدينى

١- محمد الخشت، "المقدس والبشري في الإسلام"، **مرجع سابق**.

٢- محمد الخشت، "تجديد المسلمين لا الإسلام"، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٢/٢٢ ، متاح على الرابط التالي: تجديد المسلمين لا الإسلام (٧) - الوطن(elwatannews.com)

الأسطورى يتم تقديس «الدين» أكثر من «رب الدين»، وفى التفكير السياسي الأسطورى يتم تقديس التفسير السياسي للدين على حساب مقاصده الكلية الأكثر رحابة[١].

ويؤكد الخشت في منظوره مجددًا على أن الإسلام هو الإسلام وليس المسلمين، إنه القرآن والسنة الصحيحة فقط، وقد اكتمل الدين في اللحظة التى أعلن فيها القرآن هذا، ومن ثم فكل ما زاد على ذلك مجرد اجتهاد بشرى يصيب ويخطئ، والإسلام الحر ليس إسلامًا آخر، وإنما الإسلام نفسه في طبعته الأولى الأصلية دون أقنعة أو تلوين سياسى أو اجتماعى من أجل مصالح فئوية. إنه عودة لمنابع النهر الصافية: القرآن والسنة الصحيحة[٢].

ح-**التجديد يعني "إعادة البحث في مقاصد الدين"**:

يؤسس هذا المنطلق لحقيقة أن الإرهاب في مجتمعاتنا يتشح بالدين، على الرغم من أنه -أى الإرهاب- لا يحده سقف أخلاقى من أى نوع، ولا يميز بين ما هو «أخلاقى» و«غير أخلاقى» في الصراع، ومعه صار مبدأ ميكيافيلى «الغاية تبرر الوسيلة» مبدأ مطلقًا لا يقف عند مستوى؛ حيث توجد حالة من العمى وعدم القدرة على التمييز، بحسب الخشت؛ لأنه "ينطلق من موقف شديد التشنج والخطورة من شأنه أن يؤدى إلى أعمال

١- محمد الخشت، "تجديد الخطاب الدينى: تجديد المسلمين لا الإسلام (٤) "، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٢/١، متاح على الرابط التالي: **تجديد الخطاب الدينى: تجديد المسلمين لا الإسلام (٤) - الوطن(elwatannews.com)**

٢- محمد الخشت، الإسلام الحر.. العودة إلى المنابع"، **مرجع سابق**.

بالغة الشراسة ضد الآخرين، وإلى أعمال انتحارية يروح ضحيتها عادة الإرهابيون أنفسهم!". ويشير "الخشت" في هذا السياق إلى أن محاولة التبرير الأخلاقى والعقلانى للإرهاب بالاستناد إلى الهدف يعنى جعل «الأخلاق» مجرّد مجاملة للأمزجة والأهواء التي تسيطر على مجموعة بشرية أو طبقة أو حزب؛ ومن ثم تفقد الأخلاق مضمونها وتتصدع قوانينها، وبدهى إذن بحسب "الخشت" صعوبة، بل استحالة، فهم ظاهرة التعصب العقلى والإرهاب الدموى بالنسبة للأخلاق المبنية على المبدأين الرئيسين: الخير والشر؛ إذ ليس بإمكان هذه الأخلاق أن تبرر التعصب والإرهاب، وإلا وقعت في التناقض والانتفاء والعبثية. فعلى مستوى الأخلاق تظل المسافة بين «العنف» و«الأخلاق» لا يمكن تجاوزها، كما لا يمكن ردم المسافة بين «الإرهاب» و«مقاصد الدين»"[١].

ويشير "الخشت" إلى أنه وفقا لذلك تظهر أهمية البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتستفيد من المكتسبات العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتدع وراء ظهرها معارك الماضى، وتدخل في معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أى تفهم القرآن في ضوء القرآن؛ فالقرآن وضع قواعد فهمه في داخله، ويجب علينا استخراجها بعيدًا عن عقل الفرق وعقل الأهواء، فـ«فلسفة الدين» كمجال معرفى يعتمد منهج العقلانية النقدية التي تبحث عن ماهيات ومقاصد الدين في حدود

١- محمد الخشت، "اللاعقلانية ولعبة الموت: هل نعيش فى «زمن واحد» منذ مقتل عثمان؟"، **مرجع سابق**.

العقل البرهانى وحده، مخلفة وراءها المنهج الجدلى لعلم الكلام الذى مات كعلم، لكن العقائد لم تمت؛ لأن مناهج الاستدلال الجدلى التي يستخدمها علم الكلام، وطرق التفكير التي تحكمه، قد تجاوزها الزمن بقرون[١].

ويؤرخ "الخشت" لبعض وقائع التاريخ الإسلامي، بالإشارة إلى تيار المعتزلة؛ حيث "استبدوا بالحياة الفكرية وخنقوا أصوات معارضيهم عندما كان منهم الوزراء والحاشية والخاصة المقربون من السلطة، وفى عصر المأمون كان الناس أحرارًا في توجهاتهم، لكن ابتداءً من نهاية عصر المأمون عام (٢١٨هـ/٨٣٣ م)، أجبروا الناس والمحدثين والفقهاء والقضاة على رأيهم في القول بـ«خلق القرآن»، وهى قضية دخيلة على الإسلام، ولم يتطرق لها القرآن ولا السنة الصحيحة ولا الصحابة، فمقاصد الدين هى عبادة الواحد وتحقيق المصلحة وإعمار الأرض، وليست هى البحث في: هل كلام الله قديم أم محدث؟!"[٢].

ويستخلص "الخشت" بعدها أن هذه هى حرية المعتزلة المدَّعاة، وأننا نعيش في ظاهرة حرب الخنادق القديمة التي تخندقت فيها الفرق العقائدية، حيث "يناقض ذلك النفر من الحداثيين أنفسهم، وهكذا وقعوا في الفخ نفسه الذى وقع فيه التراثيون الذين استنجدوا بالفرق القديمة الأخرى من الخوارج والروافض أو غيرهما، فالتراثيون يستدعون فرقًا بعينها، وبعض الحداثيين

١- محمد الخشت، "معارك الماضى وذكريات الانتقال (١)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٨/٢، متاح على الرابط التالي: معارك الماضى وذكريات الانتقال (١) - الوطن (elwatannews.com)

٢- محمد الخشت، "حرب الخنادق القديمة في علم العقائد"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٨/١٦، على الرابط التالي: حرب الخنادق القديمة فى علم العقائد - الوطن (elwatannews.com)

العرب يستدعون فرقًا أخرى، نعم تقوم منها مقام النقيض من نقيضه، لكن منطق الاستدعاء القائم على الاجترار يبقى في الحالين واحدًا، وهكذا نستمر مرابطين في حرب الخنادق القديمة التي تخندقت فيها الفرق العقائدية". أليس هذا سببًا آخر للقول بموت علم الكلام الذى لا يستطيع أن يخرج من الخنادق القديمة؟[١].

ويقف "الخشت" في دعواه لتأسيس عصر ديني جديد على أن من أهم مقاصدنا في تأسيس خطاب ديني جديد الرجوع في العقائد إلى الوحي في نقائه الأول « القرآن الكريم والسنة المتواترة يقينية الثبوت»، فلا يعقل أن يأخذ المرء عقائده من حكايات ومرويات بشرية وأحاديث ظنية الثبوت أو ظنية المعنى يعج بها الخطاب الديني التقليدي[٢].

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أنه مثلما اختلف الناس حول الشيطان اختلفوا أيضا حول مشكلة الشر، وحول تحديد المقاصد الإلهية، وتنوعت مواقف الفلاسفة من مشكلة الشر في العالم تبعًا لمواقفهم العامة من الدين وطبيعة رؤيتهم الأنطولوجية للعالم، فالأساطير والخرافات والعوالم المتوهمة "صنعها خيال جامح وآمنت بها عقول ضعيفة، واستفاد منها مأجورون

١- محمد الخشت، " حرب الخنادق القديمة في علم العقائد"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٨/١٦، على الرابط التالي: **حرب الخنادق القديمة فى علم العقائد - الوطن (elwatannews.com)**

٢- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (٨)"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/١١/٨، على الرابط التالي:

"**https://gate.ahram.org.eg/News/2525882.aspx**

وساعون إلى السيطرة والتحكم في العوام طلبا للذة السلطة والنفوذ والتقديس وربما أشياء أخرى"[١].

وفي سياق النظر إلى مقصد الدين في حرية الاعتقاد، يوضح "الخشت" أنه بعد فتح خيبر وجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين الغنائم نسخًا من التوراة، فأمر بردها إلى اليهود. وكان لهذا المبدأ انعكاس مثالى على بعض الفقهاء، لدرجة أن «الشافعى» اختلف مع «أبى حنيفة» حول مدى جواز مفاتحة الزوج المسلم لزوجته غير المسلمة في مسألة اعتناق الإسلام، فقد رأى «أبو حنيفة» جواز ذلك بشرط عدم الإكراه، بينما رأى «الشافعى» أنه لا يجوز أن يعرض الزوج الإسلام على زوجته «لأن فيه تعرضًا لهم، وقد ضمنا بعقد الذمة ألا نتعرض لهم». وهذا يؤكد نزوع الفقهاء الكبار نحو احترام حرية الاعتقاد، بل وتقديم ضمانات تنال احترام المشاعر، وتنبذ أى نوع من التأثير المعنوى؛ فالله ليس بحاجة إلى من يأتيه كرهًا، وهو غنى عنه، ولو شاء لهداه إلى الإيمان، لكنه يريد (سبحانه) أن يأتيه عبده بكامل إرادته الذاتية وبرغبته الحرة بشكل مطلق، وهذه إحدى دلالات ما نقصد من معانى «الإسلام الحر»؛ ولذا قال الإمام محمد أبوزهرة عن الحرية الشخصية إنها: «حرية الشخص في أن يعتقد ما يراه حقًا، وأن يتصرف في دائرة شخصه بما يعود عليه بالخير في نظره من

١- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (٢)"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/٩/٢٠، على الرابط التالي: **ضد التصور الأسطورى للشيطان «٢» - بوابة الأهرام(ahram.org.eg)**

غير تدخل من أحد، ولا تحكُّم ذى سلطان في إرادته»[١]. ويرى الخشت بأنه توجد إشكاليات في طريقة فهم روح الإسلام ومقاصده، وأنه "لا بد من قيادة الجمهور نحو إعمال الفكر والعقل في كل قضايانا[٢].

ويعود الخشت مجددا إلى التأكيد على أن هذا النوع من التفكيك سوف يرد الدين إلى حالة الوضوح الأولى التى كان عليها، بحيث يكون «النص الأصلى» هو المركز الحقيقى للمعنى، وليس المرجعيات البشرية التى كانت تفكر لعصرها هى وليس لعصرنا نحن، وبدون التفكيك المنهجى لا يمكن الخروج من تلك الحالة من التجمد التى تسيطر على الخطاب الدينى التقليدى منذ قرون طوال، ليس فقط فوق منابر الإعلام والوعظ، وإنما أيضًا فوق منصات تدريس العلم والبحث في العلوم الشرعية والإنسانية[٣].

ط-التجديد يعني "عدم التسليم بصحة الرأي الفقهي لفصيل أو تيار إسلامي":

عرض "الخشت" هنا توجهه الفكري منطلقا من أرضيه ثابتة، أساسها رفض القرآن بحسم «غريزة القطيع» التى تجعل الجموع ينساقون وراء قادتهم بلا تفكير أو تروٍّ أو مراجعة!، واستنكار ما ينشأ عن هذه الغريزة، مثل منهج السمع والطاعة، والتسليم بأقوال القادة أو الآباء دون الاستناد

١- محمد الخشت، "الإسلام الحر ودستور بلا أقنعة"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٥)"، **مرجع سابق**.
٣- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٢)"، **مرجع سابق**.

إلى براهين عقلية، مستشهدا بما قاله الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ) (البقرة: ١٧٠).

يؤكد "الخشت" أن القرآن هنا يؤكد إمكانية الوصول إلى المعرفة اليقينية ووجود معايير لماهية الحقيقة، لكن من جهة أخرى يرفض اليقين المطلق الذى يزعم امتلاكه البعض دون براهين محكمة؛ حيث ينتقد الأساليب الزائفة غير البرهانية، ويدعو للمعرفة التجريبية المبنية على النظر في الكون والآفاق والنفس، وغير ذلك من الأساليب التى توصل للمعرفة المضبوطة أو العلم الدقيق بالعالم الخارجي أو النص المكتوب[١].

ويربط المفكر المجدد بين ما جاء في التاريخ الإسلامي والواقع الحالي؛ حيث كان عدم التسليم بصحة الاجتهادات البشرية لأي تيار ديني، منطلقا من كونه لا يمتلك الحقيقة المطلقة حتى لا يقع في منشأ التكفير والتفجير، والانشقاق والصراع المميت، وحتى يبرأ الأصل من شبهات الصور المزيفة له، ويعود هذا الأصل إلى جذره «الحر» في أصوله الأولى النقية: القرآن والسنة الصحيحة.

ويشير "الخشت" هنا إلى أن من أهم تجليات الخطاب الدينى التقليدى في التعامل مع النص أن أتباعه يعطون له معان لا تعكس مقاصده، ولا تبالى بسياق آياته، ولا تفسر الكتاب بالكتاب، ولا تراعى قواعد اللغة والأساليب العلمية لفهمها واستنباط الأحكام منها، فيختزلون النص في

١- محمد الخشت، "القرآن وغريزة القطيع"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٣/٧/٢٠، متاح على الرابط التالي: القرآن.. وغريزة القطيع - الوطن(elwatannews.com)

مجموعة من آياته معزولة عن مجموع النص، ويأخذون حرفيًّا بالحدود والغنائم، عازلين السياق التاريخى والثقافى، مفسرين للنص في ضوء ثقافة رجعية تكوّنت عقولهم في رحمها، فأصبحوا سجناء لمذاهب مغلقة لا يستطيعون تجاوزها إلى أية حقيقة أو واقعة ما خارج عقلهم الجامد المتخشب خارج حركة التاريخ، مهما كانت تلك الحقيقة ظاهرة وعينية في الواقع الخارجي[١].

ويصنف "الخشت" مقاصد الدين الكبرى المتمثلة في تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على الأوطان ومصالح الناس.. كل الناس: حياتهم، عقولهم، دينهم، أموالهم، أعراضهم. وهذه الأمور الخمسة تسمى بالضروريات الخمس، وبمقاصد الشريعة، وهى الأمور التى تظهر من جميع أحكامه، ويرى أن بعض أو أكثر المسلمين منذ لحظة الانحدار الحضارى وحتى الآن يفسرون هذه المقاصد على أنها خاصة بهم أو بفصيلهم، أما باقى التيارات فليس لها إلا التكفير الدينى أو السياسي وكلها في النار. ولهذا أسباب أهمها «النظرة إلى الإسلام من زاوية واحدة وضيقة»، هى زاوية القراءة الضيقة والحرفية لنصوص الكتاب وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والأخذ ببعض الكِتاب وترك البعض، وعمى بعض المسلمين وعمى الزاوية الواحدة التى ينظرون منها، وهى زاوية الموروثات الاجتماعية وزاوية المصدر الواحد للمعرفة، وخلطهم بين موروثاتهم الاجتماعية والتصوّر الإسلامى النقى والشامل[٢] .

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٦)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، "الرؤية الأحادية للإسلام"، **مرجع سابق**.

ي- التجديد لا يمس ثوابت الإسلام:

يرى "الخشت" أن المتعصبين لتلك الفرق العقائدية المتناحرة لا يحتكمون إلا إلى كتب وأقوال الفرقة التي ينتمون إليها، وأنه إذا تم الاقتراب من بطلان كلام بعضهم ومخالفته للقرآن والسنة المتواترة، يجعلهم هذا موجهين اتهاماتهم لأقرانهم بالابتعاد عن ثوابت الدين وأركانه، في مواجهة الأباطيل[١]. ويؤكد "الخشت" في هذا السياق من جديد على ما سبق وأكد عليه من أن من أهم مقاصدنا في تأسيس خطاب ديني جديد الرجوع في العقائد إلى الوحي في نقائه الأول «القرآن الكريم والسنة المتواترة يقينية الثبوت»، فلا يعقل تأسيس العقيدة على حكايات ومرويات بشرية وأحاديث ظنية الثبوت أو ظنية المعنى يعج بها الخطاب الديني التقليدي، وتسيطر على قطاعات من المسلمين سواء من العامة أو من رافعي رايات الدفاع عن القديم كله دون تمييز، وبتعبيره "كأن كل ما هو قديم مقدس"[٢].

ورغم تبني "الخشت" لمصطلح تفكيك الخطاب الديني، الذى يدعو إلى النقد والتحليل العقلانى الذى يتمركز حول العقل المعيارى، ولا ينكر الحقيقة الموضوعية، بل يدعو إلى اكتشافها، لكنه في الوقت ذاته، لا ينكر وجود قيم مطلقة، بل يتحرى الوصول إليها بمعايير علمية صارمة. ولا يتنكر للإلهى، بل يقصد إليه شعوريًّا في عملية توحيد خالية من الشرك ليس في العقيدة والعبادة فقط، بل في المعاملات والحياة أيضًا، ومن ثم

١- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (١٣)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (٨)"، **مرجع سابق**.

تمييز «الإلهى» عن «البشرى» في الفكر والعلوم، ونزع القداسة الإلهية عن المرجعيات البشرية التى تنتحل الصوت الإلهى وتتحدث باسم الحقيقة المطلقة[١].

وفي الوقت ذاته، يرفض "الخشت" الرؤى القائلة بأن (كل آراء التراث خاطئة)، منوها إلى أنه فى أحيان أخرى يكون التجديد للفكر الديني عن طريق تغيير المرجعيات البشرية، أو استدعاء الاتجاهات الأصيلة ونقض وتهميش الاتجاهات الرجعية، وأنه "لا يمكن رفض القديم كله بحجة وجود بعض الأفكار الخاطئة أو الشاذة؛ لأنهم يقعون في مغالطة منطقية واضحة، وهى الانتقال من «الحكم على الجزء» إلى «الحكم على الكل»، ففى منطقهم الفاسد ينطلقون من مقدمات جزئية صحيحة تؤكد أن (بعض آراء التراث خاطئة)، ثم يقفزون إلى نتيجة كلية فاسدة!. ويخلص "الخشت" إلى أن "الخطورة الحقيقية في عدم التمييز بين الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية، وبين قطعىّ الدلالة من النصوص وظنىّ الدلالة منها، وبين المحكم والمتشابه في القرآن، وأيضًا عدم التمييز بين الأحاديث المتواترة وأحاديث الآحاد، والأحاديث الصحيحة النسبة إلى الرسول الكريم والأحاديث الضعيفة والموضوعة كذبًا عليه صلى الله عليه وسلم"[٢].

وهنا تكون أهم مهام تجديد الخطاب الدينى وجوب تحرى وفحص

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٣)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٦/١٤، على الرابط التالي:
https://www.elwatannews.com/news/details/750955

٢- محمد الخشت، "تجديد الخطاب الديني: تجديد المسلمين لا الإسلام (١)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/١/١١،
https://www.elwatannews.com/news/details/638198.

الأسانيد والمتون للتأكد من (هل فعلًا قال النبى ذلك، أم لا؟)، وهذا ما قام به علماء الحديث القدماء على قدر وسعهم، أما المحدثون فلا يزالون عالة عليهم ولم يكملوا جهودهم في «جمع» ما تفرق من الأحاديث الصحيحة في بطون كتب الصحاح والسنن والمسانيد، وبيان درجة صحتها، والتمييز بين الأحاديث يقينية الثبوت والأحاديث ظنية الثبوت والموضوعة، وتصنيف الأحاديث المتواترة والمشهورة والآحاد وعلاقتها باستنباط الأحكام [١].

ويخلص "الخشت" إلى أن الخطورة الحقيقية في عدم التمييز بين الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية، وبين قطعىّ الدلالة من النصوص وظنىّ الدلالة منها، وبين المحكم والمتشابه في القرآن، وأيضًا عدم التمييز بين الأحاديث المتواترة وأحاديث الآحاد، والأحاديث الصحيحة النسبة إلى الرسول الكريم والأحاديث الضعيفة والموضوعة كذبًا عليه صلى الله عليه وسلم، وأنه بطبيعة الحال ينتج عن ذلك الخلط تضخم تشريعى مكبِّل للإبداع والحياة الإنسانية، كما تنتج عنه منظومة من الخرافات والمعتقدات والأحكام غير المنضبطة، ومجموعة من القيم المعكوسة التى تولد عقولًا مغلقة وهشة، يمكن بسهولة قيادتها نحو ممارسة الإرهاب، ليس ضد الآخر فحسب، بل ضد أبناء الدين الواحد والوطن الواحد.

ولعل هذا هو السبب في النقد غير العادل الذى يوجهه المؤكدون على الطابع التاريخى للدين، والذين يركزون –من وجهة نظره– على رؤية الجزئى والسلبى والمؤقت فيما يدخل الفكر الدينى نتيجة الظروف التاريخية

١- محمد الخشت، "المقدس والبشري في الإسلام"، **مرجع سابق**.

ونتيجة الجهل والسطحية، دون أى تمييز بين الدين من جانب والفكر الدينى من جانب آخر، ودون أى تمييز بين الإسلام في نقائه الأول وبين المسلمين في ممارساتهم التاريخية التى تصيب وتخطئ.

ثانيًا– المنطلقات المنهجية لخطاب التجديد لدى "محمد الخشت":

يفضي تحليل تجربة الدكتور محمد الخشت في تجديد الخطاب الديني إلى مجموعة من المنطلقات المنهجية التي استندت إليها أطروحاته في التجديد، وسنعرض فيما يأتى بالتفصيل لكل منطلق من هذه المنطلقات:

أ– "العقلانية في النظر إلى الموروث":

يفسر "الخشت" حالة الجمود الدينى الذى تعيشه أمتنا برده إلى أسباب كثيرة؛ أهمها حالة (التقليد المطلق) للآراء والمذاهب والجماعات؛ فالتقليد – حسب رؤيته– عقبة كبرى أمام التجديد الدينى، وهذا هو السبب في بناء قصور من الوهم تعيق النظر والتواصل مع الواقع الحى، والمقلد لا يرى الفكر الدينى إلا بناء حديديًّا غير قابل للتطور والتحديث، وغير قابل لإعادة الفهم وفق ظروف الزمان والمكان وما يستجد من أحوال أو يتبدل من متغيرات. ويتطرق المفكر المجدد إلى توصيف السياق الخاص بنقد العلوم الإنسانية والمذاهب الفقهية التي نشأت لفهم الدين، حيث فشل ذلك السياق فشلًا ذريعًا في تقديم الجديد المتوافق مع روح العصر ومتطلبات الواقع، عندما تجمد هذا النقد واتخذ من التقليد منهجا، والتفسير الحرفى المطلق وسيلة، متجاهلا طبيعة التفكير العلمى وسنن الواقع[١].

١- محمد الخشت، "الأقدام الفخارية للتجمد الديني (١)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٥/١٧، متاح على الرابط التالي: الأقدام الفخارية للتجمد الدينى (١) - الوطن (elwatannews.com)

ويستطرد "الخشت" بأن كل محاولات أصحاب ثوب العقلانية في عالمنا العربى فشلت في الوصول إلى الجماهير وإيجاد صحوة ثقافية، وأغلب العقلانيين العرب أنفسهم ما هم إلا متعصبون أيضًا؛ لأن "عقلانيتهم غير محكومة بمعايير العقل النقدى، ومن ثم شاركوا في حالة «التجمد الفكرى» التي نحياها، فهم يقفون على الأقدام الفخارية نفسها التي يقف عليها «التجمد الدينى»، مثل: التقليد، والتعصب، والعقل المغلق، والاستئثار بالحقيقة، ونفى الآخر، وثقافة التسلط، وثقافة التآمر، والانغلاق على نظام قيم معين بصورة جامدة، وثقافة التبرير، وعدم الرغبة في فتح قنوات للحوار والبحث عن أرضية مشتركة راسخة تقوم على الحقائق البدهية التي يلتقى عندها جميع الإخوة الأعداء"[١].

ويرتكز "الخشت" في طرح هذا المنطلق على أن الدين نفسه لا يتجمّد، لكن الذى يتجمد هو عقول فسرت النصوص القرآنية والنبوية الواضحة والمباشرة، بأيديولوجيات عقيمة تجمدت معها المنظومة العقائدية والتشريعية في كهنوت بشرى يتخفى في ثوب إلهى، وهنا لا بد من تفكيك الفكر الإنسانى المتصلب والمتقنع بأقنعة دينية؛ حتى يمكن كشفه أمام نفسه وأمام العالم. وأرجع ثبات حالة التخلف في فهم مقاصد الدين إلى عدم قيام الجهود الحثيثة الفاعلة في تنقيح التراث مثل كتب بعض الفقهاء مثل

١- محمد الخشت، "الأقدام الفخارية للتجمد الديني (٢)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٥/٢٤، متاح على الرابط التالي: الأقدام الفخارية للتجمد الدينى (٢) - الوطن (elwatannews.com)

كالغزالي الأشعري ومنهجيته في كتاب (إحياء علوم الدين) التي أدخلت في الدين ما ليس منه اعتمادًا منه على أساطير وإسرائيليات وأحاديث ضعيفة وموضوعة وروايات عن بعض السلف غير متحقق من صحتها[١].

فالمطلوب للخروج من هذا المأزق بحسب رؤية "الخشت"، تجديد فهم المسلمين للدين، عن طريق ثورة في التعليم والإعلام، حتى تحل الرؤية العلمية للدين والعالم محل الرؤية اللاهوتية السحرية القائمة على النقل والحفظ والاتباع الأعمى للذين وضعوا أنفسهم كوسطاء بين الإنسان والله، وبين المسلم والقرآن، وبين الأمة ورسولها الكريم.

ب-"المنهج النقدي في النظر إلى الموروث":

يربط "الخشت" في سياق هذا المنطلق بين ما يقوم به كهنة الأديان الذين بحسب وصفه، "تجمدت معهم علوم الدين، ممن يستغلون «تعدد الدلالات» ليُسقطوا أوهامهم على النص ويأخذوا منه مبررًا لكل هوى حتى لو كان إهدارًا للدماء وهتكًا للأعراض وتدميرًا لموارد الحياة والحضارة والتمدن"، وبين رفضهم لمنهجية التعقل النقدى والتفكير المنهجى اللذين أكد عليهما القرآن في تأسيس الإيمان وفى فهم نص الكتاب، فالعقلانية «انحراف» على الرغم من أن الكتاب نفسه اشتمل عليها، والتفكير «هَمّ» و«ضلال» على الرغم من أنه فريضة قرآنية"[٢].

ويعود المفكر المجدد إلى تأريخ تلك الظاهرة السابقة إلى ما قام به

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٢)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٥)"، **مرجع سابق**.

سابقا الكهنة والسحرة في الأديان والفرق الدينية واستغلالهم قابلية التصديق العالية عند كثير من الناس لنشر هذه التوهمات وتوظيفها لتحقيق مصالح دنيوية وسياسية، فيعد هذا من بين أسباب نشأة كثير من الأساطير التي مازالت تحتل مساحات كبيرة من العقل الإنساني، وتجد مكانها، بحسب ما يعتقد "الخشت"، عند بعض المشتغلين بالعلوم الذين يحفظون العلم كمعلومات لكنهم لا يفكرون تفكيرا علميا نقديا[١].

وتجديد الخطاب الدينى العام –من وجهة نظر الخشت– لا يتم دون تجديد علوم الدين ذاتها وأهمها «علم أصول الدين» المشهور باسم «علم الكلام» Dialectical Theology. فهذا التجديد هو تحليل ونقد للعلم البشرى الذى أنشأه علماء حول العقائد الدينية، باستخدام تكنيكات العقل النقدي، والخروج بالتمييز بين الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية، وبين قطعىّ الدلالة من النصوص وظنىّ الدلالة منها، وبين المحكم والمتشابه في القرآن، وأيضًا عدم التمييز بين الأحاديث المتواترة وأحاديث الآحاد، والأحاديث الصحيحة النسبة إلى الرسول الكريم والأحاديث الضعيفة والموضوعة كذبًا عليه صلى الله عليه وسلم[٢].

ويوضح "الخشت" أن الفكر الديني الصحيح هو ما يستخدم العقل

١- محمد الخشت، "ضد التصور الأسطوري للشيطان (٢)"، مقال، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٢٠/٩/٢٠، متاح على الرابط: **https://gate.ahram.org.eg/News/2483605.aspx**

٢- محمد الخشت، "موت علم الكلام: مات العلم ولم تمت العقائد"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٧/٢٦، متاح على الرابط التالي: **»موت علم الكلام«: مات العلم ولم تمت العقائد - الوطن(elwatannews.com)** .

النقدي في فهم الدين، منطلقا من أن المرجعية الثابتة هى مرجعية القرآن والسنة الصحيحة المنسوبة إلى الرسول على وجه اليقين لا على وجه الظن، أما أقوال الرجال فهى عرضة للصواب والخطأ، وهى قابلة للنقد، مهما وصل هؤلاء إلى مكانة عالية. غير أن ما يجزم به "الخشت" في ضرورة دعواه لإعمال العقل النقدي لا النقلي في ضرورة تجديد الخطاب الديني، لعلمه أن التراث ملىء باتجاهات شتى متباعدة، ومن سبل تجديده –وليس كلها– إعادة التحليل النقدى لمكوناته تحليلًا علميًّا، ثم إعادة بنائها لصنع مركّب جديد أو منظومة جديدة، مثل التعامل مع العناصر الكيميائية، وفى أحيان أخرى يكون التجديد –بحسب المفكر المجدد– عن طريق تغيير المرجعيات البشرية، أو استدعاء الاتجاهات الأصيلة ونقض وتهميش الاتجاهات الرجعية[١].

ويشير "الخشت" إلى أن وسيلة العقل النقدي لتجديد الفكر الديني من خلال (التفكيك) تذهب إلى أدوات النقد والتحليل العقلانى الذى يتمركز حول العقل المعيارى، ولا ينكر الحقيقة الموضوعية، بل يدعو إلى اكتشافها، ولا ينكر وجود قيم مطلقة، بل يتحرى الوصول إليها بمعايير علمية صارمة. ولا يتنكر للإلهى، بل يقصد إليه شعوريًّا في عملية توحيد خالية من الشرك ليس في العقيدة والعبادة فقط، بل في المعاملات والحياة

١- محمد الخشت، "التجديد الديني والمعركة الزائفة حول التراث"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٥/١٠، متاح على الرابط: https://www.elwatannews.com/news/details/727286

أيضًا، ومن ثم تمييز «الإلهى» عن «البشرى» في الفكر والعلوم[١].

ويشير "الخشت" إلى أن مفهوم العقل النقدي يلازم دعوة تجديد الخطاب الدينى، ويوضح أن "المشهد العام اليوم الذى يسيطر على فرقاء العالم العربى لا تزال تحركه –دون وعى– المعارك القديمة على كل الساحات. وفى تصوره أن تراث الفرق القديمة المتناحرة الذى يملأ علم الكلام لا يزال يحكم العقل الجمعى، وأنه يعد أحد الأسباب الرئيسة فيما تعانيه الأمة الإسلامية؛ مما يدعو إلى التفكير جديًّا في تجاوز هذا النوع من التراث التناحرى، عن طريق إعادة استئناف النظر في تفسير العقائد في حدود العقل البرهانى الذى يعتمد أدوات العلم، ومن هنا تظهر أهمية البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتستفيد من المكتسبات العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، بحسب الخشت، وتدع وراء ظهرها معارك الماضى، وتدخل في معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أى تفهم القرآن في ضوء القرآن؛ بالاستناد إلى أن القرآن وضع قواعد فهمه في داخله، ويجب علينا استخراجها بعيدًا عن عقل الفرق وعقل الأهواء[٢].

ويفسر "الخشت" عدم جدوى حركة الإصلاح الديني الإسلامي في

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٣)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٦/١٤، متاح على الرابط : **تفكيك الخطاب الدينى التقليدى (٣) - الوطن (elwatannews.com)**

٢- محمد الخشت، "معارك الماضي وذكريات الانتقال"، **مرجع سابق**.

القرن التاسع عشر بغياب العقلانية النقدية، وذلك على الرغم من أن "العقلانية النقدية في جوهرها هى التى قامت عليها دعوتنا منذ إبراهيم (عليه السلام)، وهى العقلانية التى دعا إليها القرآن الكريم وقام عليها الشرع، وآيات القرآن وأقوال النبى الصحيحة التى دعت إلى استخدام العقل أكثر من أن تحصى. وهي الآيات والأقوال التى قامت عليها حضارتنا قبل أن تتحول إلى عصور المتون والشروح والحواشى"[١].

ج- "تفسير العقيدة في حدود العقل البرهاني":

يرى "الخشت" أن هناك حاجة لإعادة استئناف النظر في تفسير العقائد في حدود العقل البرهانى الذى يعتمد أدوات العلم، حيث تظهر أهمية البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتستفيد من المكتسبات العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتدع وراء ظهرها معارك الماضى، وتدخل في معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أى تفهم القرآن في ضوء القرآن[٢]. وما يطرحه "الخشت" هو لأجل "تجاوز «علم الكلام» كليةً إلى مجال تداولى مختلف لتأسيس خطاب عقائدى جديد، ينقل العقول من ساحة «التنوع المميت» إلى ساحة «التنوع الخلاق»، ويحقق المعنى الحقيقى للتوحيد في نقائه الأول كما تجلى في

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (١)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٥/٣١، متاح على الرابط التالي:
https://www.elwatannews.com/news/details/741321

٢- محمد الخشت، "معارك الماضي وذكريات الانتقال (١)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٨/٢، متاح على الرابط التالي، معارك الماضى وذكريات الانتقال (١) - الوطن (elwatannews.com)

عصر نزول القرآن وفهمه تحت رعاية وتبيين النبى صلى الله عليه وسلم يقينًا لا ظنًّا، ويجيب بفاعلية على إشكاليات وتحديات العصر العقائدية في ضوء المكتسبات العلمية والنظرية التي تحققت بالتطور النسبى للعلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الطبيعية والرياضية. وهذا المجال التداولى المختلف الذى يمكن له أن يسحبنا من معارك وعقول الماضى، هو «فلسفة الدين» كمجال معرفى يعتمد منهج العقلانية النقدية التي تبحث عن ماهيات ومقاصد الدين في حدود العقل البرهانى وحده"[١].

ويشير "الخشت" إلى أن عقلانية المعتزلة لم تقم على فكر العقل البرهاني، مثلما يدعي البعض، بل ارتكزت على «عقلانية العقل الجدلى»، وذلك رغم أن حرية المعتزلة هى «حرية ميتافيزيقية» فقط تناقش علاقة الإرادة الإلهية بالإرادة الإنسانية على المستوى الغيبى، وليست «حرية فكرية واجتماعية وسياسية» على أرض الواقع، وليست حرية تؤكد حق إبداء الرأى وحق الاختلاف وحق الحياة الخاصة[٢].

وتجديد «علم العقائد» لن يكون إلا بالتوجه نحو مجال تداولى مختلف لتأسيس خطاب عقائدى جديد، هو «فلسفة الدين» كمجال معرفى يعتمد منهج العقلانية النقدية المحكومة بمعايير العقل البرهانى لا العقل الجدلى[٣]. ففي التفكير الدينى المنضبط الذى يلح عليه القرآن الكريم، وأيضًا

١- محمد الخشت، "معارك الماضي وذكريات الانتقال (١)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، " حرب الخنادق القديمة فى علم العقائد"، **مرجع سابق**.
٣- محمد الخشت، "ذكريات الانتقال من علم الكلام إلى فلسفة الدين (٢)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٨/٩، متاح على الرابط التالي: **ذكريات الانتقال من علم الكلام إلى فلسفة الدين (٢) - الوطن(elwatannews.com)** ".

في التفكير العلمى الدقيق الذى تقدمه لنا مناهج البحث العلمى، يكون الخروج من حالة الشك المنهجى بدليل عقلى برهانى أو بدليل استدلالى تجريبى أو سلطان حسى مبين، وليس بقول «ولى» أو «داعية» أو «أمير جماعة». ويرى المفكر المجدد عدم إمكانية تجديد الخطاب الدينى ولا الخطاب الدنيوى دون تبين المنشأ العقلى للتطرف عامة سواء كان تطرفًا دينيًّا أم دنيويًّا. ففى تصوره أن المنشأ العقلى للتطرف يكمن في طبيعة «منهج التفكير اللاعقلانى»[١]. فلا مجال للرأى الواحد المطلق، ولا مجال للانغلاق على «دوجما»، وإنما المجال مفتوح دومًا للاجتهاد الذى يدور حول «المصلحة المجتمعية» المحكومة بمعايير الشرع ومقاصده، و«الحكم يدور مع العلة وجودًا وعدمًا» كما يقول علماء أصول الفقه، فالجمود موقف متهافت، خاصة أن أصحابه يؤكدون معتقداتهم غالبًا بسلطة الأمراء الدينيين أو سلطة عقل شخصى يجزم أنه يملك الحقيقة، دون أى احتمال لكونها ناقصة أو خاطئة، ودون برهان محكم من الوحى أو العقل أو الواقع، ودون مراعاة الظروف المتغيرة.

د- "الاعتماد على المداخل البرهانية لا الجدلية في الاستدلال":

في سياق هذا المنطلق يتجه المفكر المجدد إلى تأكيد أن القرآن أشار إلى إمكانية المعرفة اليقينية ووجود معايير لماهية الحقيقة، لكن من جهة أخرى يرفض -أي القرآن- اليقين المطلق الذى يزعم امتلاكه البعض دون

١- محمد الخشت، "الخطاب الديني وصراع الأخوة الأعداء"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٤/٢٦، متاح على الرابط التالي: **الخطاب الدينى وصراع الإخوة الأعداء - الوطن(elwatannews.com)**

براهين محكمة؛ حيث ينتقد الأساليب الزائفة غير البرهانية، ويدعو للمعرفة التجريبية المبنية على النظر في الكون والآفاق والنفس، وغير ذلك من الأساليب التي توصل للمعرفة المضبوطة أو العلم الدقيق بالعالم الخارجى أو النص المكتوب، فالعلم اليقينى يحصل عليه الإنسان بوسائل متعددة: الواقع، أو التجريب، أو الاستدلال العلمى، أو القراءة الفاحصة[١].

ويوضح "الخشت" أن المناهج البرهانية لا الجدلية تفيد في عملية التفكيك للتراث الديني؛ من أجل فضح معانى وتأويلات الكهنة والساسة المتقنّعين بالدين، وفي هذا المنطلق يرفض الخشت ما يدعيه البعض من أن "النص الديني حمال للمعانى، ومن العسير الوصول إلى معنى موضوعى له"، منوها إلى أن النص حمال أوجه، لكن المعانى ليست مفتوحة بلا قيد ولا شرط، ومرونة النص في كثير من مواضعه لا تعنى أنه لا توجد معان محكمة وموضوعية، ولا تعنى النسبية المطلقة للمعنى، ولا تستلزم ضياع الدلالة وسيولة المقاصد والأحكام، بل تعنى أن النص «حى وديناميكى»، وليس ميتًا أو استاتيكيًّا، وأن الطريق لهذا يكون من خلال اتباع المناهج البرهانية لا الجدلية للوصول إلى فهم مقاصد الدين وطرحها في إطار مفهوم "المعاصرة"[٢].

ويحدد "الخشت" قواعد وشروط استخلاص المعنى من باطن النص الديني: "فكما توجد مناهج علمية لطريقة إنزاله على الوقائع المتغيرة.

١- محمد الخشت، "القرآن وغريزة القطيع"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٥)"، **مرجع سابق**.

فكلمات النص واضحة ومباشرة في الآيات المحكمات، أما الآيات المتشابهات فهى التى تجعل النص متجددًا لملاءمة تغير الزمان والمكان، فيأتي دور الراسخين في العلم الذين يملكون شروط الاجتهاد واستنباط الأحكام"، لكن المشكلة تكون فيمن وصفهم المفكر المجدد بـ"كهنة الأديان" الذين تجمدت معهم علوم الدين، وعهدهم استغلال «تعدد الدلالات» ليُسقطوا أوهامهم على النص ويأخذوا منه مبررًا لكل هوى حتى لو كان إهدارًا للدماء وهتكًا للأعراض وتدميرًا لموارد الحياة والحضارة والتمدن[١].

ويرفض "الخشت" ما يتعلق بمنطلق (التفكيك لأجل الفوضى) وفقا للمنطق الجدلي تلك الفوضى التى يريدها أعداء الإسلام والوطن سواء من الخارج أو من الداخل، فمأساة التفكيكيين الغربيين، ومن تبعهم من التفكيكيين العرب، حيث اتخذوا من عملية التفكيك نفسها منهجًا وغاية، وهذا هو الفرق بين التفكيك المنهجى الذى يدعو إليه "الخشت"؛ من أجل إعادة البناء وتجديد «أمر الدين» والتفكيك المذهبى المطلق الذى لا يدرك أنه يساهم في استمرار الفوضى الذهنية التى تسيطر على الساحة الفكرية والدينية والسياسية، وبدون التفكيك المنهجى لا يمكن الخروج من تلك الحالة من التجمد التى تسيطر على الخطاب الدينى التقليدى منذ قرون طوال، ليس فقط فوق منابر الإعلام والوعظ، وإنما أيضًا فوق منصات تدريس العلم والبحث في العلوم الشرعية والإنسانية، بحسب تعبيره[٢].

ويربط "الخشت" بين ظاهرة الابتعاد عن المنهج البرهاني وتجمد

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٥)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، " تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٢)"، **مرجع سابق**.

العلوم التى نشأت حول النص الدينى، حيث بَعُدت عن مقاصد هذا النص، وحولته من نص «ديناميكى» يواكب الحياة المتجددة إلى نص «استاتيكى» يواكب زمنًا مضى وانتهى[١].

ويخلص "الخشت" إلى أن استخدام المنهج البرهاني لا مجال فيه للرأى الواحد المطلق، ولا مجال للانغلاق على «دوجما»، وإنما المجال مفتوح دومًا للاجتهاد الذى يدور حول «المصلحة المجتمعية» المحكومة بمعايير الشرع ومقاصده، و«الحكم يدور مع العلة وجودًا وعدمًا» كما يقول علماء أصول الفقه، منوها إلى أن الجمود موقف متهافت، خاصة أن أصحابه يؤكدون معتقداتهم غالبًا بسلطة الأمراء الدينيين أو سلطة عقل شخصى يجزم أنه يملك الحقيقة، دون أى احتمال لكونها ناقصة أو خاطئة، ودون برهان محكم من الوحى أو العقل أو الواقع، ودون مراعاة الظروف المتغيرة. ولذا فإن الجمود نتاج للتعصب، والتعصب نتاج للدوجماطيقية، والدوجماطيقية عدو التطور وعدو الحياة وعدو سنن الله في تطور الإنسانية، ولا سبيل للتجديد الدينى والدنيوى دون إزاحة «الدوجما» من العقول أولًا، "فهكذا نعود مجددًا إلى ضرورة تغيير «منهج التفكير» كشرط أولى مطلق نلح عليه دون كلل من أجل تأسيس عصر دينى جديد".

هـ- "البحث في فلسفة جديدة للدين":

يؤسس هذا المنطلق لفكرة البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتدع وراء ظهرها -حسب تعبير الخشت- معارك الماضى، وتدخل

١- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (١)"، **مرجع سابق.**

في معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أى تفهم القرآن في ضوء القرآن. ويستطلع "الخشت" إمكانية مساهمة تحليل معنى الدين في اللغة، في تحديد ماهية الدين، وهو ليس تحليلًا -كما ينبه- على طريقة القدماء في البدء بالمعنى اللغوى ثم المعنى الاصطلاحى، بل تحليل عقلى للغة والاصطلاح، وفي الولوج إلى مجال «فلسفة الدين» التي لا تزال غامضة عن ثقافتنا، ومختلطة بحقول أخرى مثل الفلسفة الدينية وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية[١].

ويستشهد المفكر الفيلسوف بطريقة انتهاء عصر سيطرة الكهنوت الديني في العصور الوسطى بأوروبا عندما سادت أنماط «الشك المنهجى» الذى يتخذ من الشك العقلى منهجًا للوصول إلى «الحقائق الواضحة والمتميزة» دون اللجوء للتقليد الأعمى للأنساق الفكرية اللاعقلانية، وهو ما أدى لقيام الفلسفة الديكارتية لاحقا، فالمشكلة التي واجهها «ديكارت» وعصره هى أيضًا سيادة أقوال الكهنة وتفسيرهم الأحادى للكتاب المقدس، فتم الشروع في تأسيس عصر جديد وخطاب ديني جديد تراجع فيه لاهوت العصور الوسطى الذى كان يحتكر فيه رجال الدين في أوروبا الحقيقة الواحدة والنهائية[٢].

١- محمد الخشت، "تجديد المسلمين لا الإسلام (٦)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٢/١٦، متاح على الرابط التالي: تجديد المسلمين لا الإسلام (٦) - الوطن (elwatannews.com)

٢- محمد الخشت، " «الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٣/١، متاح على الرابط التالي: «الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد - الوطن(elwatannews.com)

ويرى "الخشت" في "فلسفة الدين" طريقا لدحض بعض الأساطير داخل التراث الديني، والتي تختفي حينا، وتظهر أحيانا أخرى، ولا يكاد ينجو منها إلا من يتمسك بالعقل النقدي والإيمان الكوني بالواحد الأحد والتفسير العلمي للظواهر الطبيعية[١]. ولكنه في الوقت ذاته يشير إلى أن الفلسفة التفكيكية الجذرية تخالف الموقف الإنسانى الذي لا يستطيع أن يعيش بدون اعتقاد (بالمعنى الواسع)، فلم تقدم بديلًا مذهبيًّا يمكن الارتكان إليه، بل قدمت عدم اليقين، ودعت إلى الفردية المطلقة والنسبية المفرطة، وفقدان الثقة في العقلانية وكل نظام أخلاقى يدور على مركز أو محور ثابت مثل الضمير أو الله، فهى حسب قوله "فلسفة هشة، فهى تحطيم للتمركز حول العقل، وتكريس لضياع الفعل الغائى، وسيادة للامعقول[٢].

ويطرح المفكر المجدد تساؤلا في معرض عرضه لمنطلقه، هو: "لماذا فشلت التيارات الأصولية في اتخاذ موقف عقلانى واقعى في مواجهة تيار العولمة المتسارع؟.. ولماذا فشلت في تحقيق حالة جديدة من الانسجام بين «الإسلام» و«المعاصرة» بشكل يمكّن المجتمع الإسلامى من اللحاق بالركب ودخول الألفية الجديدة بخطى واثقة تعتمد على الثقافة والتمدن؟. ويوضح "الخشت" أن التيار السياسى الإسلامى الفكري عجز عن حل تلك

١- محمد الخشت، "الشك المنهجي وتأسيس عصر ديني جديد"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٣/١، متاح على الرابط التالي: www.elwatannews.com

٢- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٤)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/٦/٢١، متاح على الرابط التالي: https://www.elwatannews.com/news/details/755025

الإشكالية، وعن تقديم نموذج عصرى حداثى يقرب الإسلام من العالم، ويقرب العالم من الإسلام[١].

و- "النظرة الدينامية إلى النص الديني":

"تفكيك الذهنيات العتيقة والمنظومات الأسطورية" يعد- من وجهة نظر الخشت- الأداة الأبرز والأهم لتحويل النص الديني التراثي من نص استاتيكي ثابت إلى نص ديناميكي معاصر. وتظهر أهمية عملية التفكيك لتلك الذهنيات العتيقة؛ لأجل فضح معانى وتأويلات المتقنّعين بالدين، بحسب الخشت، فالمعانى ليست مفتوحة بلا قيد ولا شرط، ومرونة النص فى كثير من مواضعه لا تعنى أنه لا توجد معان محكمة وموضوعية، ولا تعنى النسبية المطلقة للمعنى، ولا تستلزم ضياع الدلالة وسيولة المقاصد والأحكام، بل تعنى أن النص «حى وديناميكى»، وليس ميتًا أو استاتيكيًّا، فكلمات النصوص واضحة ومباشرة فى الآيات المحكمات، أما الآيات المتشابهات فهى التى تجعل النص متجددًا لملاءمة تغير الزمان والمكان، وهنا دور الراسخين فى العلم الذين يملكون شروط الاجتهاد واستنباط الأحكام"، فعلى الإنسان أن يسعى لمعرفة الحقيقة بالبحث فى الكتاب، والكون، وفى التاريخ والنفس، مستخدمًا مناهج البحث العلمى سواء فى العلوم الطبيعية والرياضية أو العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهى علوم - مرة أخرى- متغيرة ومتطورة بتطور الجهد والاجتهاد البشرى[٢] .

١- محمد الخشت، "تجديد الخطاب الديني: تجديد المسلمين لا الإسلام (٢)"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٥/١/١٨، متاح على الرابط التالي:
https://www.elwatannews.com/news/details/642869.

٢- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٥)"، **مرجع سابق**.

ثالثًا- شبكة مصطلحات ومفاهيم تجديد الخطاب لدى "محمد الخشت":

تنوعت المفاهيم والمصطلحات التي تبلورت حولها رؤية الدكتور محمد الخشت لتجديد الخطاب الديني، ما بين مصطلحات مركزية، وأخرى فرعية.

وتمثلت المفاهيم المركزية في خطاب التجديد لديه في: رفض تقديس الاجتهادات البشرية، والتجديد، والشك المنهجي، وتفكيك الخطاب الديني، والنص الأصلي، وعصر ديني جديد، ومرحلة التفكيك، ومرحلة التكوين.

ويطرح "الخشت" رؤيته لتجديد الخطاب الديني من خلال التخلي عن فكرة **تقديس الاجتهادات** البشرية في تفسير النص الديني، فيشير في مؤلفه "مدخل إلى فلسفة الدين"[١] إلى أن تقديس الاجتهادات البشرية يعني تحويل فهم الدين من محاولة مفهومية تحاول تفسير النص الديني بصورة قد تقبل الخطأ أو الصواب، من منظور صاحبها، إلى جعلها منظومة ملتصقة بقداسة النص الديني الأصلي لا تقبل التغيير ومحرم المساس بها، كما يشير في سياق عرض منطقه الفكري لكتابه الرائد "نحو تأسيس عصر ديني جديد" إلى أن الاجتهادات ترتبط بفلسفة النظر إلى وجود ما هو (إلهي) وما هو (بشري)، وذلك الاجتهاد يرتبط بمفهوم محاولة الوصول للحقيقة دون الاعتراف بأن الاجتهاد ما دام لم يأت فيه نص صريح في القرآن الكريم والسنة هو (الحقيقة المطلقة التي لا تقبل الشك وتتمتع بميزة

١- محمد الخشت (٢٠١٦)، **"مدخل إلى فلسفة الدين"**، القاهرة: دار نشر مؤمنون بلا حدود، ص ١٥.

التقديس) [١]، وأن ذلك المصطلح المركزي من أهم ضروريات **التجديد**، الذي يطرحه "الخشت" كمعنى ملتصق بمفهوم آخر **وهو** "**التأسيس**"، حيث يعد التأسيس أساس عملية تجديد النص الديني وهذا التأسيس –أي التجديد– هو لعصر ديني جديد، يقوم على ركيزة تبني أسلوب **الشك المنهجي** و"الذات المفكرة" في التفسيرات القديمة للنص الديني، وتعني هذا المنهجيات لدى مؤلفها ما يسميه مؤرخو الأفكار (الكوجيتو الديكارتي) ويوحي هذا الكوجيتو بأن الفكر له الأسبقية المنطقية في الخروج من الشك والوهم إلى المعرفة الصحيحة والمنضبطة، وأنها كما يقول ديكارت أهم وأوثق معرفة تعرض لمن يدير أفكاره بترتيب، وهو ما يؤسس لفهم الدين والاجتهادات البشرية إلى اتباع "المعرفة المنضبطة" التي لا بد أن تكون نتيجة طبيعية لكل من يُعمِل عقله بمنهج دقيق طبقا لمعايير موزونة.[٢]

ويشير "الخشت" إلى أن اتباع المنهجية السابقة يقود إلى مرحلة **تفكيك الخطاب الديني** مباشرة والبحث في السياقات التي طرحت طبيعة وجوده، سواء كانت سياقات تاريخية أو سياسية أو اجتماعية، موضحا بأن معنى التفكيك الذي يقصده يتجلى في خمس مراحل أساسية تبدأ بـ **أولا:** (إعلاء هدف أن التفكيك وغايته تطوير علوم الدين لا إحياؤها)، وهو يبدأ من الاتجاه نحو تغيير المنظومة التفسيرية التي ابتعدت –عن غايات الدين وأنتجتها الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المغايرة لعصرنا الذي

١- محمد الخشت (٢٠١٩)، **"نحو تأسيس عصر ديني جديد"**، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ص ٤٩، ٥٠، ٥١.
٢- **المرجع السابق نفسه**، ص ٢١.

نعيش فيه، **وثانيا:** التفكيك المقصود هو التفكيك المنهجي الذي يؤدي إلى الإعلاء من قيم الاستنباط والاجتهاد وإعادة الاجتهاد، وعدم النكوص على الأوامر الإلهية، وعدم وأد مقاصد الوحي، **وثالثا:** الإقرار بمنهجية عدم التنكر للنص الإلهى، وأن التفكيك المقصود في إطار ذلك يقوم على عماد الدين وهو النقد والتحليل العقلاني الذي يتمركز حول العقل المعياري، ولا ينكر الحقيقة الموضوعية بل يدعو إلى اكتشافها، ولا ينكر –مع ذلك– وجود قيم مطلقة، بل يتحرى في الوصول إليها معايير علمية صارمة، ولا يتنكر للإلهي، بل يقصد إليه شعوريا في عملية توحيد خالية من الشرك ليس في العقيدة والعبادة فقط، بل في المعاملات والحياة أيضا، **ورابعا:** تفكيك المرجعيات المغلقة للوصول إلى الدين في حالته الطبيعية الأولى التي اصطنعها التطرف والاستبداد وتلك التأويلات البشرية التي اصطنعها فقهاء السلطان، لأجل تأويل جديد في فهم الدين يأخذ بأسباب الاجتهاد، **وخامسا:** تفكيك المعاني الأسطورية المزيفة للنص المركزي، وهي تلك المنظومات الأسطورية التي أنتجها الكهنة والساسة المتقنعين بالدين، واعتبار أن قاعدة وجود الآيات المتشابهات تجعل النص متجددا يصلح لكل زمان ومكان، وهذا يكمن في دور الراسخين في العلم الذين يملكون شروط الاجتهاد واستنباط الأحكام.[١]

وبناء على ما سبق، يرى "الخشت" أن التفكيك يكون برؤية أن **النص الأصلي** (القرآن الكريم) هو الغاية التي لا بد من التأسيس عليها للتأويل

١- **المرجع السابق نفسه**، ص ٥٨.

والفهم والتفسير، وليس التأسيس على الاجتهادات التي حاولت تفسيره والتأويل عليها والتسليم بها، موضحا أن هذا يؤسس لـ "**عصر ديني جديد**" يقوم على ركيزتين أساسيتين في بناء فهم صحيح للدين؛ وهما **(تفكيك** النصوص الجامدة من خلال إعمال العقل الفعال)، و**(تكوين** طرائق جديدة تقوم على الفكر والابداع وتكون سبيلا نحو التفكير الديني الحر الخلاق).

وعلى مستوى المفاهيم الفرعية التي ظهرت على خريطة تجديد الخطاب الديني لدى محمد الخشت فقد تحددت في مفاهيم: المغالطات، والترقيع، والخلط، وثنائية الإلهي/ البشري، والنص الديني، وتطوير علوم الدين، وإحياء علوم الدين، والحقيقة المطلقة، والتأويلات المغرضة، ومعارك التكفير، وآفة القطيع، وثنائية التعليم/البحث العلمي. ويوضح "الخشت" أن المقصود بـ"**المغالطات**" التي ظهرت في الخطاب الديني تلك التي كانت مرجعيتها الخلط بين كل ما هو **بشري /إلهي**، ويلفت النظر في تعريفه لتلك المغالطات أنها ترتبط بـ**(الخلط)** وعدم التمييز بين الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية وبين قطعي الدلالة وظني الدلالة منها، وبين المحكم والمتشابه في القرآن **(النص الديني)**، وأيضًا عدم التمييز بين الأحاديث المتواترة وأحاديث الآحاد، والأحاديث صحيحة النسبة إلى الرسول الكريم والأحاديث الضعيفة والموضوعة كذبًا، والتي يظهر بعض منها في الطقوس والمظاهر التي تؤسس لفهم الدين وتجعله كحقائق نهائية ومؤسسة وكهنوت يركز على الطقوس والمظاهر، أكثر مما يركز على نقاء الضمير والفضيلة واتساق الظاهر والباطن، ويركز على الشكلي والسلطوي والقهري أكثر مما

يركز على الجوهري والعقلي والإنساني لتعزيز **آفة القطيع** في الفهم المغالط. وبطبيعة الحال ينتج عن ذلك الخلط تضخم تشريعي مكبل للإبداع كما تنتج منظومة من الخرافات والمعتقدات والأحكام غير المنضبطة.

وينتهي المفكر المجدد إلى أن أولى سبل بناء فكر ديني جديد يوافق معطيات الواقع هو الكشف عن هذه **المغالطات** السابق توضيحها، وأن دعاة الإصلاح ممن رفعوا شعار التجديد للنص الديني لم يقدموا محاولات لـ (تطوير علوم الدين)، وإنما قاموا بـ (إحياء علوم الدين)، وأن تجديد الخطاب الديني يبدأ من فكرة دحض أكذوبة **(الحقيقة المطلقة)** و**(التأويلات المغرضة)** وهي تلك المرتبطة بأصحاب العقل المغلق (الدوجماتيكي) وذلك من خلال تفكيك الخطاب الديني التقليدي الذي تجاهل قضايا التنمية والفساد والحرية والديمقراطية والجهل والأمية وركز فقط على معارك التكفير وفقه الحيض، مؤكدا على ضرورة محاربة آفة القطيع التي تحارب فكرة فهم **النص الديني الأصلي** (القرآن) بالعقل، من خلال إحداث ثورة علمية حقيقية تقوم على التعليم والبحث العلمي الذي يسعى لتعليم الناس طرائق التفكير والانفتاح والمرونة وترسيخ مفهوم المواطنة.

رابعًا: العلاقة بين شبكة المصطلحات والمفاهيم في خطاب التجديد لدى "محمد الخشت":

بعد رحلة شاقة خاضها "الخشت" في استعراض مجموعة المفاهيم التي تنتظم حولها عملية تجديد الخطاب الديني، والتي طرحها في سرده

لتاريخية الأديان وخاصة الدين الإسلامي، يبين أن الوعي يعني الارتقاء بتصور مقاصد الدين، وأن ما يعنيه بالعودة إلى **(الإسلام النقي)** هو العودة إلى ذلك الإسلام العقلاني الذي ينتقل من الاستدلال بخوارق الطبيعة إلى الاستدلال بنظام الطبيعة، ولا يستخدم منطق الحس بل منطق البرهان، ومن ثم يصبح مبدأ عدم التناقض هو السائد كمقياس للتمييز داخل النص، منوها إلى أن الإسلام –حسب نظريته– يرفض المعجزات الحسية كدليل على صحته، ويعتمد على نوع جديد من المعجزة البيانية، كما يرفض الكتاب أن يكون دليل صحته من خارجه، أي أنه يرفض الاستعانة بالمعجزات الحسية، ويقدم دليلا من داخله وهو (البيان، والبرهان، وعدم التناقض) وهذا ما يؤسس لكشف **(المغالطات)** ولفهم **النص الديني** بعيدا عن **(التأويلات المغرضة)** لمعانيه.

فالنص المقدس يطالب بالتحقق من صحته بطريقة التطابق بين ما يقوله وما يدل عليه الواقع الخارجي، فالتحقق من الصدق الداخلي عن طريق البرهان العقلي والاتساق الداخلي، والتحقق من الصدق الخارجي عن طريق فحص التطابق مع الوقائع الخارجية، ويحمل هذا الاجتهاد البشري في تفسير النص –بحسب "الخشت"– قابليه الصواب والخطأ وعدم التمكن من إعلان **(الحقيقة المطلقة)**[١].

وفي طرحه يكشف عثمان الخشت أن التحول نحو تأسيس عصر ديني جديد يستلزم الاتجاه نحو الاهتمام بـ**(التعليم والبحث العلمي)** للقضاء

١- محمد الخشت، "مدخل إلى فلسفة الدين"، **مرجع سابق**، ص ٢٦١.

على ظاهرة الإرهاب العقائدي، من خلال الاهتمام بالتعليم الذي يحارب صناعة عقول جامدة، لا ترى خارج عالمها الأسود سوى الكفر والضلال، والاهتمام بعادة التفكير، والالتفات إلى فن الحوار المولد للحقيقة دون التلقي السلبي من المعلم، وهو ما كان موجودا في مدرسة (أهل الرأي) عند أبي حنيفة النعمان وغيره من الفقهاء العظماء، بما يؤدي إلى القضاء على (**آفة القطيع**)[١].

خامسًا- الأطروحات الأساسية في خطاب التجديد لدى "محمد الخشت":

من خلال تحليل الإنتاج الفكري للدكتور محمد الخشت أمكن تحديد الأطروحات الأساسية داخل كل مفهوم من تلك المفاهيم السابقة وكانت على النحو التالي:

أ- أطروحة "التخلي عن التفسيرات التراثية الجامدة للنص الديني":

تتلخص فكرة هذه الأطروحة في أن تراث الفرق القديمة المتناحرة الذى يملأ علم الكلام لا يزال يحكم العقل الجمعى، وهو أحد الأسباب الرئيسة فيما تعانيه أمتنا اليوم؛ مما يدعو إلى التفكير جديًّا فى تجاوز هذا النوع من التراث التناحرى. كيف؟ عن طريق إعادة استئناف النظر فى تفسير العقائد فى حدود العقل البرهانى الذى يعتمد أدوات العلم، ومن هنا تظهر أهمية البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتستفيد

١- محمد الخشت، "نحو تأسيس عصر ديني جديد"، **مرجع سابق**، ص ١١٥.

من المكتسبات العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتدع وراء ظهرها معارك الماضى، وتدخل فى معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أى تفهم القرآن فى ضوء القرآن[١].

ب- **أطروحة "استخلاص المقاصد أساس فهم النص القرآني":**

تستند هذه الأطروحة إلى ضرورة فهم الكتاب الكريم فى ضوء الكتاب نفسه وروحه ومقاصده، ومن النماذج التطبيقية لهذه الأطروحة: تفسير الفخر الرازى «مفاتيح الغيب» المعروف بالتفسير الكبير. لكنه للأسف غير منتشر بين الناس على الرغم من أنه مطبوع أكثر من مرة. ويمكن القول إن كثيرًا من الدعاة لا يقوون على قراءته. وفى المقابل يلجؤون إلى تفاسير سهلة لكنها مشتملة على إسرائيليات، ومن أسف فإنها هى الشائعة بين الناس وبأرخص الأسعار، والعجيب أن كثيرًا من الدعاة والشيوخ ربما يعرفون هذه الحقيقة، لكنهم يستسهلون ويريدون الاستشهاد بـ«حكايات» يدغدغون بها مشاعر العامة، ومرويات تقص العجائب والمفارقات، أما «الأفكار» فلا أحد منهم قادر على متابعتها أو إجبار ذهنه على فهمها ونقلها للناس[٢].

ج- **أطروحة "تفكيك معانى الوحي في ضوء قواعد القراءة المنضبطة":**

تنبه هذه الأطروحة إلى عدم قلب حقائق الأشياء عند تفسير النص، وذلك حينما يحول البعض «المحكم الواضح» إلى «مغلق غامض» يحتاج تفسيرًا، و«المباشر» إلى «غير مباشر» يحتاج وسيطًا، حتى يكونوا هم الوسطاء فى الفهم، و«يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ» ليعطوه معانى ليست

١- محمد الخشت، "معارك الماضى وذكريات الانتقال (١)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، "تفكيك الخطاب الدينى التقليدى (٥)"، **مرجع سابق**.

فيه، وغالبًا تجدهم لا يفهمون الكلام على «قَدّ» الكلام، بل يلونون معانيه بأفكارهم ويزيدون معانى من عندهم، حتى يؤسسوا وصايتهم على الدين وعلى الناس[١].

د- أطروحة "دحض قداسة التفسير البشري للدين":

تستند هذه الأطروحة إلى فكرة أن المشكلة التى واجهها أبو الأنبياء فى عصره كانت مشكلة التقليد والاتباع الأعمى للآباء وكبار القوم؛ ومنهجهم القائم على اليقين المطلق بصحة أقوال السابقين وسدنة الدين والتاريخ. والمشكلة التى واجهها «ديكارت» وعصره هى أيضًا سيادة أقوال الكهنة وتفسيرهم الأحادى للكتاب المقدس. هنا رفض إبراهيم عليه السلام إسكات عقله، وهناك رفض ديكارت ورفاق عصره إسكات عقلهم. مع إبراهيم بدأ دين جديد يرفض التقليد، ومع ديكارت ورفاق عصره تم الشروع فى تأسيس عصر جديد وخطاب دينى جديد تراجع فيه لاهوت العصور الوسطى الذى كان يحتكر فيه رجال الدين فى أوروبا الحقيقة الواحدة والنهائية. قام قوم إبراهيم عليه السلام بحرقه، لكنه نجا بمعجزة، وقام كهنة العصور الوسطى بإقامة محاكم التفتيش حيث كل وسائل القتل والتعذيب[٢].

هـ- أطروحة "التفكيك الهادف إلى العودة إلى الأصول النقية":

تذهب هذه الأطروحة إلى أن التفكيك الذى يحتاجه الخطاب الدينى ليس تفكيكًا يتنكّر لكل «مركز» مثل التفكيك الجذرى فى مرحلة «ما بعد الحداثة»، وإنما هو تفكيك يريد العودة للمراكز الأولى للعلم والفكر والدين، وبهذه العودة سوف يتم الالتقاء مباشرة مع الدين الأول الخالص فى نقائه

١- **المرجع السابق نفسه**.

٢- محمد الخشت، "«الشك المنهجى» وتأسيس عصر دينى جديد"، **مرجع سابق**.

وخصوبته الأولى، ومن ثم سوف تنهار كل المراكز المزيفة التى اصطنعها التطرف والاستبداد، كما سوف تنهار كل التأويلات البشرية التى اصطنعها فقهاء السلطان وفقهاء البحث عن السلطان. وهنا تصبح الأرض ممهدة لتأويل جديد يأخذ بأسباب الاجتهاد ويأخذ بأسباب العصر. إن حالة الجمود المطلق على المنظومات القديمة ليست مجرد جاهلية جديدة تعجز عن مواكبة العصر، بل خروج عن حركة التاريخ[١].

و-**أطروحة "تفكيك التراث إلى عناصره البسيطة"**:

تؤكد هذه الأطروحة على تفكيك التراث ورده إلى العناصر البسيطة التى يتكون منها، حتى يمكن التمييز بين العناصر الحية والعناصر الميتة؛ ومن ثم يسهل استبعاد العناصر الميتة منه وإبقاء العناصر الحية ثم تنميتها وتطويرها وإضافة عناصر جديدة لها حتى تصير كائنًا حيًّا معاصرًا يحقق مقاصد الوحى ومصالح الناس ويقيم أسباب العمران. وبالتأكيد أن هذا النوع من التفكيك سوف يرد الدين إلى حالة الوضوح الأولى التى كان عليها، بحيث يكون «النص الأصلى» هو المركز الحقيقى للمعنى، وليس المرجعيات البشرية التى كانت تفكر لعصرها هى وليس لعصرنا نحن[٢].

ز- **أطروحة "النقد والتحليل العقلاني للتراث:**

تذهب هذه الأطروحة إلى أن التفكيك الذى يؤسس لتجديد الخطاب يستند إلى النقد والتحليل العقلانى الذى يتمركز حول العقل المعيارى، ولا

١- محمد الخشت، "نحو تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٤)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، " تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٤)"، جريدة الوطن، **مرجع سابق.**

ينكر الحقيقة الموضوعية، بل يدعو إلى اكتشافها، ولا ينكر وجود قيم مطلقة، بل يتحرى الوصول إليها بمعايير علمية صارمة. ولا يتنكر للإلهى، بل يقصد إليه شعوريًا فى عملية توحيد خالية من الشرك ليس فى العقيدة والعبادة فقط، بل فى المعاملات والحياة أيضًا، ومن ثم تمييز «الإلهى» عن «البشرى» فى الفكر والعلوم، ونزع القداسة الإلهية عن المرجعيات البشرية التى تنتحل الصوت الإلهى وتتحدث باسم الحقيقة المطلقة. وبدون هذه العملية لن يمكن إعادة فتح باب الاجتهاد والتجديد الحقيقيين. إن النزعة التفكيكية الجذرية، مثل النزعة العدمية، تزعزع أسس العلم والفكر العقلانى الذى يقوم على مفهوم «المركز الثابت للفكر» مثل «المعنى» أو «الذات» أو «الحقيقة» أو «فكرة السببية»[١].

ح- **أطروحة "عدم الإقرار بالحقيقة المطلقة للمرويات البشرية":**

تركز هذه الأطروحة على الغيبيات وفي قلبها المزاعم المتعلقة بالجن والشياطين، والتي يوردها كتاب «آكام المرجان في أحكام الجان» لمحمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي، أبي عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين «المتوفى: ٧٦٩هـ»، والذي لخصه السيوطي الأشعري في كتاب «لقط المرجان في أحكام الجان» وعلى الرغم من أن الشبلي الحنفي والسيوطي الأشعري لا يعرفان طبيعة أجسام الهوام التي تقطن منزلهما، فإنهما يعرفان طبيعة أجسام الجن والشياطين بالتفصيل، ويعرف ذلك مثلهما كل رافعي رايات الخرافة المقدسة والحقيقة المطلقة! ويخصص الشبلي الباب الرابع من

١- محمد الخشت، " تفكيك الخطاب الديني التقليدي (٣)"، جريدة الوطن، **مرجع سابق.**

كتابه لذلك، أما السيوطي فيدمج الحديث عن أجسام الجن ضمن حديثه عن موضوعات أخرى يتناول فيها الأصل الذي خُلقوا منه وطبيعة أشكالهم وتشكلهم. ويدخل التيار الأشعري مع التيار المعتزلي في عراك حول تحديد طبيعة أجسام الجن، وكأن الاثنين اطلعا على هذا العالم وشاهدا مخلوقاته وأجريا التجارب والمعاينات. ويستدل التيار الأشعري والتيار المعتزلي ضد بعضهما البعض بأقوال مرسلة واستنتاجات جدلية وخطابية دون دليل مباشر من القرآن والسنة المتواترة، ودون أية مشاهدة علمية تخضع للقياس العلمي[١].

ط-**أطروحة "التفكير الديني المنضبط"**:

ملخص هذه الأطروحة أن التفكير الدينى المنضبط الذى يلح عليه القرآن الكريم، وأيضًا فى التفكير العلمى الدقيق الذى تقدمه لنا مناهج البحث العلمى، يكون الخروج من حالة الشك المنهجى بدليل عقلى برهانى أو بدليل استدلالى تجريبى أو سلطان حسى مبين، وليس بقول «ولى» أو «داعية» أو «أمير جماعة». مرة أخرى نجد أمامنا تجربة أبى الأنبياء إبراهيم فى رفض وصاية البشر وفى عدم الاحتجاج إلا بدليل عقلى برهانى أو بدليل استدلالى تجريبى أو بسلطان مبين من الوحى أو الحس، فعندما أراد كبار القوم والكهنة فرض وصايتهم عليه، شككه عقله فى معتقداتهم المستقرة، ورفض ذهنه رؤيتهم للعالم التى تنسب العلل إلى غير مصدرها، ولم يستطع أن يهضم فكرة الأصنام أو تأليه مظاهر الطبيعة أو تأليه البشر أو الحاكم[٢].

١- محمد الخشت، " ضد التصور الأسطوري للشيطان (٨)"، **مرجع سابق**.
٢- محمد الخشت، الشك المنهجي" وتأسيس عصر دينى جديد (٥)، **مرجع سابق**.

ي-أطروحة "الشك المنهجي":

ملخص هذه الأطروحة أن الشك المنهجى هو سنة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ولولاه ما وصل إلى الحقيقة، عندما شك فى عقائد قومه فى الأوثان والكواكب والنجوم، وفق مراحل فى «الاستدلال العقلى» تم ذكرها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٩]. هذا «الشك المنهجى» الذى يتخذ من الشك العقلى منهجًا للوصول إلى «الحقائق الواضحة والمتميزة»، هو ما قامت عليه الفلسفة الديكارتية التى افتتحت -مع فلسفات وحركات علمية وفنية أخرى- العصر الحديث الذى ودعت فيه أوروبا عالم العصور الوسطى[١].

ك- أطروحة "التخلي عن التفسيرات التراثية الجامدة للنص الديني":

تذهب هذه الأطروحة إلى أن الجمود الدينى الذى تعيشه أمتنا يرجع لأسباب كثيرة لا تعدو أن تكون أقدامًا فخارية لقصور من الرمال، ولا تخرج عن كونها الأساطير المؤسسة للأوهام التى نحياها. ولعل أهم هذه الأقدام الفخارية هو التقليد المطلق للآراء والمذاهب والجماعات؛ فالتقليد عقبة كبرى أمام التجديد الدينى، وهو السبب فى بناء قصور من الوهم تعيق

١- محمد الخشت، "الشك المنهجي وتأسيس عصر ديني جديد"، **مرجع سابق**.

النظر والتواصل مع الواقع الحى، والمقلد لا يرى الفكر الدينى إلا بناء حديديًّا غير قابل للتطور والتحديث، وغير قابل لإعادة الفهم وفق ظروف الزمان والمكان وما يستجد من أحوال أو يتبدل من متغيرات. ولا ينسحب هذا النقد على العلوم الإنسانية والمذاهب الفقهية التى نشأت لفهم الدين فقط، وإنما ينسحب أيضًا على المذاهب اللادينية التى تفشل فشلًا ذريعًا عندما تتجمد ويصبح التقليد منهجها، والتفسير الحرفى المطلق وسيلتها[١].

ل-أطروحة "الحق في نقد الفكر الديني":

تذهب هذه الأطروحة إلى أن المرض الأكبر الذى يعانى منه منهجنا فى التفكير المعاصر هو «الدوجماطيقية»! لكن ما الدوجماطيقية؟ ببساطة هى التعصب المطلق لكل ما تؤمن به الجماعة، إنها الاعتقاد بامتلاك الحقيقة كلها. وهى تعريب لكلمة Dogmatism، ولها ترجمات عديدة، مثل: يقينية، وثوقية، قطعية، توكيدية. وأى متطرف فى الدين أو الفكر أو السياسة هو متعصب أو دوجماطيقى بلغة الفلسفة. والدوجماطيقى هو شخص غير عقلانى، فليست «اللاعقلانية» هى عدم استخدام العقل فقط، لكنها أيضًا استخدامه بطريقة خاطئة! وليست الدوجماطيقية تيارًا فلسفيًّا أو دينيًّا محددًا، إنما هى -فى أكثر معانيها انتشارًا- صفة تتصف بها كل فرقة أو مذهب أو جماعة تزعم امتلاك الحقيقة المطلقة بشكل شامل، ولا تقر بأنها قد تحتمل شيئًا من الخطأ أو النقص، وتقطع بأن ما تحوزه من معارف ومعتقدات لا يقبل النقاش ولا التعديل ولا التطوير، حتى وإن تغيرت الظروف التاريخية، فهى مقدسة ومنزهة عن أى نقد، على الرغم من أن

١- محمد الخشت، "نحو تأسيس عصر ديني جديد"، **مرجع سابق**، ص ٨٠.

هذه المعتقدات والآراء غير مبرهن عليها ببراهين قاطعة من العقل أو الواقع أو الوحى يقينى الثبوت ويقينى الدلالة، وعلى الرغم من عدم التمهيد لهذه المعتقدات بفحص نقدى تحليلى للأسس التى تقوم عليها، ودون بحث فى حدود وقدرات العقل المعرفية، فضلًا عن عدم تمحيص الطرق التى توصل إلى المعرفة الصحيحة[١].

م-أطروحة "تأسيس فقه ديني جديد":

من أكبر النماذج الفقهية التى كافحت الجمود ورفضت التعصب والمواقف المنغلقة، الإمام الشافعى الذى اختلف مذهبه الفقهى فى مصر عن مذهبه القديم فى العراق. ومن بين أسباب هذا الاختلاف مراعاة ظروف الزمان والمكان، وأتصور قياسًا على ذلك أن الإمام الشافعى نفسه الذى يحتضنه تراب مصر وقلبها لو عاد إلى عصرنا لأصبح له فقه جديد يلائم الزمان الجديد ومتغيراته المعقدة. ومن المعلوم أنه تلقى العلم على يد مالك، فالشافعى تلميذ مالك، ومالك نفسه تلميذ لـ«أبى حنيفة»، وأحمد بن حنبل تلميذ لـ"الشافعى". لكن أى فقيه منهم لم يتجمد على مذهب أستاذه، بل جاء بمذهب مختلف، والإمام أحمد نفسه الذى يرمونه بالتشدد لا يوجد له رأى واحد فى كل المسائل، بل فى كثير من المسائل تجد له رأيين؛ ويجمع له البعضُ فى المسألة ثلاثة آراء؛ مما يدل على وجود تنوع وتطور فى الفقه الحنبلى ذاته[٢].

١- محمد الخشت، "الخطاب الدينى وصراع الإخوة الأعداء"، مرجع سابق.
٢- محمد الخشت، "نحو تأسيس عصر ديني جديد"، ص ١٥٥، مرجع سابق.

ش-**أطروحة "الفصل بين الموروثات الاجتماعية والتصوّر الإسلامى"**:

تذهب الأطروحة إلى أن بعض أو أكثر المسلمين منذ لحظة الانحدار الحضارى وحتى الآن يفسرون هذه المقاصد على أنها خاصة بهم أو بفصيلهم، أما باقى التيارات فليس لها إلا التكفير الدينى أو السياسى وكلها فى النار. ولهذا أسباب كثيرة، أكتفى منها هنا بـ«النظرة إلى الإسلام من زاوية واحدة وضيقة»، وعمى بعض المسلمين فى عصرنا ليس عمى عين وإنما عمى ثقافة، وعمى الزاوية الواحدة التى ينظرون منها، وهى زاوية الموروثات الاجتماعية وزاوية المصدر الواحد للمعرفة؛ فهم يخلطون بين موروثاتهم الاجتماعية والتصوّر الإسلامى النقى والشامل[١].

مسارات البرهنة على الأطروحات:

اعتمد خطاب التجديد لدى الدكتور محمد الخشت في البرهنة على أطروحاته على (أقوال الفلاسفة) بشكل أساسي، ثم الاستعانة بالقرآن الكريم، ثم الاستعانة بأحداث من التاريخ الإسلامي وأقوال فقهاء الدين، ثم في المقام الأخير الاستعانة بالأحاديث النبوية.

أ-**القرآن الكريم:**

جاءت الاستعانة بالقرآن الكريم في خطاب "الخشت" كأداة لتبيان ودحض قداسة التفسير البشري للدين كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم نصوص القدماء (الإلهي والبشري)، ولـ(التأسيس للحجج البرهانية والأدلة

١- محمد الخشت، "الرؤية الأحادية للإسلام"، مقال، جريدة الوطن، عدد ٢٠١٣/١٠/١٢، على الرابط التالي: الرؤية الأحادية للإسلام - الوطن(elwatannews.com)

الدامغة في فهم الدين)، وتم الاستشهاد ببعض آيات القرآن الكريم للتدليل على رفض منهج السمع والطاعة دون إعمال العقل في فهم الدين كإحدى الأطروحات المؤسسة لمفهوم الحقيقة المطلقة، ولتأكيد إعلاء القرآن الكريم لمنهج إحكام قيادة العقل وطريقة البحث في أمور الدين كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الشك المنهجي، تأسيسه لمنهجية التفكير الديني المنضبط كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الشك المنهجي، وتأسيسه أيضا لطريقة الوصول لفهم صحيح للدين القائمة على التفكير كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الشك المنهجي، ورد ظواهر التكفير والتفجير والحرق المميزة للموجة الثالثة للإرهاب ضد الشعوب والجيوش العربية، التى تستخدمها حروب الجيل الرابع التى أطلقتها قوى الإمبريالية العالمية، إلى ظاهرة (ترقيع فهم النصوص الدينية) وإلصاق صفة مرجعيتها للعقول المختلة التي استندت إلى أقوال شاذة مقتطعة من سياقها وبلا سند تاريخى صحيح، وتوضيح مقصد الدين الذي تناوله القرآن الكريم والمتمثل في نزع القداسة الإلهية عن البشر في الوساطة بين المسلم وربه كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم غاية الإسلام (مقصد الدين)، وإظهار نبذ القرآن لظاهرة (غريزة القطيع) التي يتم فيها الانسياق وراء جماعات لفهم مقاصد الدين دون إعمال للعقل بلا تفكير أو مراجعة، ووفقا لمنهج السمع والطاعة دون إعمال العقل ودون الاستناد للمعرفة القائمة على البراهين المحكمة، وكشف تناول القرآن لمفهوم البرهان العقلي في فهم الدين ورصد التأويلات المغرضة للتفسيرات البشرية كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم كشف المغالطات في فهم الدين.

ب-الأحاديث النبوية:

وجاءت الاستعانة بتلك الأداة كبرهان على أطروحات تجديد الخطاب الديني التي تناولها "الخشت" في دعواه وتمثلت في أطروحات، التأسيس للحجج البرهانية والأدلة الدامغة في فهم الدين ودحض المرويات الضعيفة كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم العقل النقدي، ونبذ التناحر لأجل التسليم بفكرة الفرقة الناجية كأحد الأطروحات التأسيسية لمفهوم الحقيقة المطلقة لفرقة دينية واحدة والتخلي عن التفسيرات التراثية الجامدة للنص الديني كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم علوم الدين للتأسيس لعصر ديني جديد.

ج-أحداث التاريخ الإسلامي:

يتضح اعتماد "الخشت" على أداة الاستشهاد بـ(أحداث من التاريخ الإسلامي) كأداة برهانية للتدليل على بعض الأطروحات التي اشتمل عليها الخطاب وتمثلت في (أطروحة الاعتقاد في عدم تقديس الاجتهادات البشرية في تفسير النص الديني كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الحق المطلق)، وأطروحة تبيان (ضرورة التفريق بين القرينة والدليل، كمنهجية حاكمة وكإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم العقل النقدي لبناء التجديد الديني)، وأطروحة (إزكاء قيم إعمال العقل في فهم مقاصد الشرع ضد تيار الجمود كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم التجديد الديني)، وللتدليل على الاعتقاد في (عدم تقديس الفهم البشري في تفسير النص الديني

كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الحق المطلق وعدم تقديس الاجتهادات البشرية)، وللتأكيد على ما يشير له فهم الدين وهو (التأسيس على أن المركز الحقيقى للمعنى، وليس المرجعيات البشرية التى كانت تفكر لعصرها وارتبطت بسياقاتها الزمانية والمكانية كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم التأويلات المغرضة، و(المطالبة بتأسيس فقه ديني جديد يوائم فهم العصر كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم عصر ديني جديد، ولتأكيد ضرورة الرجوع للنص الديني الأولى وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الإسلام النقي، والإشارة إلى ضرورة تنوع الرؤية الفكرية الإسلامية للعالم دون فرض لرأي واحد كإحدى الأطروحات المؤسسة لمفهوم قلب الحداثة.

د-أقوال الفقهاء:

وجاء استخدام أقوال الفقهاء كدليل وأداة برهانية للتدليل على الطرح المقدم في الأطروحات التالية: أطروحة تفكيك معانى الوحى في ضوء قواعد القراءة المنضبطة. كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم تفكيك لخطاب الديني، وأطروحة التسليم بعدم قداسة تفسيرات فهم مقاصد الدين كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم عدم الإقرار بالحقيقة المطلقة في المرويات البشرية، وأطروحة التأسيس للحجج البرهانية والأدلة الدامغة في فهم الدين ودحض المرويات الضعيفة كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم العقل النقدي، وأطروحة التأسيس لمنهج الاستدلال والاستنتاج

البرهاني الدلالة كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم العقل النقدي، وأطروحة دحض كتب التراث التي تقوم على الاستناد للمرويات والأحاديث الضعيفة كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم إحياء علوم الدين، وأطروحة توصيف مسند كتب العقائد التي تستند للتراث الضعيف من الأحاديث النبوية كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الأحاديث الموضوعة وأطروحة إزكاء قيم إعمال العقل في فهم مقاصد الشرع ضد تيار الجمود كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم التجديد الديني وأطروحة المطالبة بتأسيس فقه ديني جديد يوائم فهم العصر كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم عصر ديني جديد.

هـ – أقوال فلاسفة:

وجاء استخدام أقوال الفقهاء كدليل وأداة برهانية للتدليل على الطرح المقدم في الأطروحات التالية: أطروحة التخلي عن التفسيرات التراثية الجامدة للنص الديني كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم (تطوير علوم الدين)، وأطروحة العودة للمراكز الأولى للعلم والفكر والدين كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم التفكيك، أطروحة تفكيك التراث ورده إلى العناصر البسيطة التى يتكون منها كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم الخطاب الديني، وأطروحة المركز الحقيقى للمعنى، وليس المرجعيات البشرية التى كانت تفكر لعصرها كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم تفكيك النصوص التفسيرية البشرية في فهم مقاصد الدين، وأطروحة نبذ

منهجية النكوص عن الأوامر الإلهية، ووأد مقاصد الوحى كإحدى الأطروحات التأسيسية لدحض مفهوم التفكيك المذهبي المطلق، وأطروحة النقد والتحليل العقلاني الذى يتمركز حول العقل المعيارى، ولا ينكر الحقيقة الموضوعية كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم التفكيك، وأطروحة إعادة البناء وتجديد «أمر الدين» كإحدى الأطروحات التأسيسية لمفهوم التفكيك المنهجي.

سادسًا- قضايا التجديد في خطاب "محمد الخشت":

اتسعت مجالات التجديد في خطاب الدكتور محمد الخشت لتشتمل على ما يلي:

أ- تجديد الفقه:

ومن بين الموضوعات التي تناولها "الخشت" في هذا السياق، ما يختص بتناول (الجانب الفقهي في فلسفة الدين)، (فتاوى المرأة المسلمة)، (المشاكل الزوجية في ضوء الكتاب والسنة والمعارف الحديثة)، (ضد التصور الأسطوري للمرأة).

ب- الشريعة:

ومن الموضوعات التي تناولها "الخشت" في هذا المجال، ما يختص بتناول (دراسة الدين من منظور إنساني)، و(النقد العقلي والمنهج البرهاني في كشف المرويات الضعيفة في فهم الشريعة).

ج-المعاملات:

ومن الموضوعات التي تناولها المفكر المجدد في هذا المجال ما يختص بتناول (فلسفة المواطنة في عصر التنوير)، (الشائعات وكلام الناس)، (المرأة المثالية في أعين الرجل)، (المجتمع المدني)، (المجتمع المدني والدولة).

د-الأخلاق:

واهتم الخطاب في هذا السياق بتناول (الأخلاق وسلوكيات التقدم في الفكر الديني)، و(العلاقة بين الدين والأخلاق)، (تبعية الدين للأخلاق)، مناقشة موضوع علاقة تبعية الأخلاق للدين (الأخلاق الحقيقة للدين)، وأخلاق التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى وإقامة الحقوق المدنية لهم وتغليب خلق المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

سابعًا- القوى الفاعلة في تجديد الخطاب الديني لدى "محمد الخشت":

لم يشر "الخشت" إلى قوى فاعلة بعينها قادرة أو مسؤولة عن تجديد الخطاب الديني، حيث يتناول هذا الجانب بلغة المتكلم (نحن) و(علينا)، و(نحن المسلمين)، للتدليل على أن جميع القوى الإسلامية من مسلمين (أفراد ومواطنين ونخب فكرية وهؤلاء القائمين على شؤون الدين من شيوخ الأزهر الشريف وشيوخ المسلمين عامة في المساجد وغيرها من علماء الدين وممن تلقوا التعليم الشرعي الديني) يلزمهم تجنب المثالب التي يعاني منها الخطاب الديني التقليدي، ودحض ما فيه من مصادر الفهم غير الشرعية

وغير الأساسية، والتأسيس لفهم عصري يشارك الجميع في صياغته. فالكل مسؤول عن إحداث التجديد في هذا الخطاب والإعلان عن تأسيس عصر ديني جديد، والأداة لهذا كله تكون من خلال (التعليم) والثورة على منهج التقليد والإعلاء للفكر الديني العقلي البرهاني لا الجدلي النقلي المتجمد ذهنيا المتحجر زمنيا ومكانيا، غير أن الباحث استخلص ضمنا وجود ثلاث قوى فاعلة كان مستنبطا إشارة المفكر المجدد لهم وكانت على النحو التالي:

- **العلماء الرافضون لدعوى تجديد الخطاب الديني المتجمد**
- **عامة المسلمين**
- **علماء التراث الديني التقليدي**

ثامنًا– وصف القوى الفاعلة والأدوار المسندة لها في خطاب "محمد الخشت":

من خلال تحليل الإنتاج الفكري للدكتور محمد الخشت يتضح أنه وصف القوى الفاعلة أوصافًا إيجابية في أحيان، وبالسلب في أحيان أخرى، ويتحدد ذلك بناء على الأدوار المسندة إليها، وتمثلت هذه الأدوار في:

أ–العلماء الرافضون لدعوى تجديد الخطاب الديني المتجمد: (أدوارا سلبية فقط)

- يقتاتون من السيطرة على العقل السليم بالأوهام.
- يجعلون بينهم وبين الوحى المقدس النقى عتبات من الروايات

الخرافية.

- ويجعلون بينهم وبين الكون المنير عتبات من عوالم الظلام اللامرئية.
- يروجون للأساطير على أنها وحى إلهي.
- يستشهدون بأحاديث منسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم، بعضها ضعيف السند، وبعضها معارض للقرآن الكريم، وربما يكون بعضها صحيحا لكنه لا يصل إلى شرط المتواتر الذى يُعتَد به في مجال العقائد.
- يقدسون النصوص البشرية بالموروث.
- يقدسون فرقهم الدينية وأئمتها، ويتبعون منظومات عقائدية وضعها بشر وفق طريقة فهمهم الخاصة للوحي.
- قام بعضهم بالاستدلال وقفزوا في الاستنتاج العقلي بالاستناد إلى الكتب الصفراء نقلا لا عقلا.

ب-عامة المسلمين (أدوارا سلبية وأخرى إيجابية)

أولا: الأدوار السلبية: -

- يقعون في التقديس المزيف الناجم عن الترويج فى الخطاب الدينى التقليدي.
- يقدسون كلمات تصدر عن شخصيات بشرية تخطئ وتصيب لمجرد انتمائها لفرقة دينية أو زعمها لامتلاك علم الأولين.
- تسيطر المرويات الأسطورية على عقول قطاعات كبيرة منهم.

ثانيا: الأدوار الإيجابية: –

- يحمون دور العبادة لأصحاب الديانات السماوية.
- يجتهدوا في محاولة فهم الدين والإلتزام بحدوده.
- يعلون من تقديس القرآن الكريم والإقرار بما جاء فيه حال فهمهم له على حساب الاجتهادات التراثية المغلوطة.
- يؤمنون بحرية الاعتقاد الديني والسياسي لجميع البشر المختلفين معهم.

ج–علماء التراث الديني التقليدي (أدوارا سلبية وأخرى إيجابية)

أولا: الأدوار السلبية

- من كتبهم ما تسبب في تغييب العقول.
- روج بعضهم للأساطير على أنها وحى إلهي.
- آراؤهم مبنية على أحاديث ضعيفة غيبت كثيرا من العقول.
- سيطرت آراؤهم على قطاعات كبيرة –من عامة المسلمين– وتسببت في إضعاف النظرة العلمية للكون لصالح النظرة الأسطورية.
- يتجرؤون على الحديث عن عوالم لا نراها وليست تحت تجربتنا.
- استندوا في فكرهم الأسطوري إلى أخبار وروايات مرسلة ومكذوبة، وأحاديث ضعيفة النسبة إلى الرسول.
- يستدل بعضهم بأحاديث آحاد فى أمور عقائدية.
- وقع بعضهم في خطأ الترويج لقداسة أقوالهم والحديث باسم الله.
- رفع بعضهم راية المعقول والمنقول وتوسعوا فى الاستدلالات

والاستنتاجات فى الأمور الغيبية.

- أخطأ بعضهم منهجيا فى اعتبار بعض المرويات سندا من أسانيد معرفة الغيبيات، ومصدرا لمعرفة تفصيلات عقائدية، ومرجعا من مراجع تفسير الوحي.
- تمترس بعضهم وراء خطاب تراثى تقليدى مملوء بالغث والثمين، وتجاور فيه الأسطورةُ العلمَ.
- تجرأ بعضهم على إدخال الله سبحانه وطبيعته وقدراته طرفا في المقارنة مع الإنسان.

ثانيا: الأدوار الإيجابية

- اجتهدوا قديما في محاولة فهم الدين
- أقروا بحرية الاعتقاد الديني
- دعوا إلى فهم دين الله وفق مقتضيات عصرهم
- أقروا بحماية أرواح ودور عبادة أصحاب الديانات الأخرى
- رفضوا التسليم بفكرة قبول النص الديني دون محاولة فهمه

خاتمة

التحليل المتأني لمؤلفات الدكتور محمد الخشت وكتاباته يؤشر إلى امتلاكه رؤية واضحة الحدود والمعالم في تجديد الخطاب الديني، ومشروع واضح الأهداف والغايات، والوسائل والأدوات، في تطوير العقل الديني المسلم بحيث يتماس مع مساحات التجديد. وقد استند هذا المشروع إلى عدد من المنطلقات الفكرية والمنهجية لطرح أفكار التجديد ومفاهيمه وأطروحاته، كما اشتمل على تحديد واضح للقوى الفاعلة المسئولة عن تجديد الخطاب وأدوارها، ومساحات التجديد ومجالاته. وبناء على هذا التحليل نخلص إلى توصيف خريطة مشروع تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور محمد الخشت على النحو التالي:

أولًا- المنطلقات الفكرية لتجديد الخطاب الديني: تتأسس عملية تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور "الخشت" على مجموعة من المنطلقات الفكرية، التي تحمل مجموعة الأسباب التي تفسر وتبرر الجهود المبذولة في سياق تجديد الخطاب الديني بروافده النصية والمؤسسية وكذلك تلك المرتبطة بواقع الممارسات الدينية السائدة. ويتحدد مدلول المنطلقات الفكرية في المقدمات النظرية التي تمثل أساسًا لأطروحات التجديد الذي يشتمل عليه الخطاب. وقد كشف تحليل خطاب الدكتور "الخشت" عن عدد من المنطلقات الفكرية التي حكمت اجتهاداته في تجديد الخطاب الديني:

١- **حرية العقل الإنساني:** يتحدد جوهر عملية تجديد الخطاب الديني في مشروع "الخشت" في حرية العقل وفك الجمود الديني المتعصب والمتصلب، وتوظيف الرؤى النقدية في التعامل مع الموروث، وأن جانبًا من جوانب تجديد الخطاب يعنى بتفسير العقيدة في حدود العقل البرهاني، وضرورة تحرير العقل النقدي من قيوده؛ لأن غياب العقل النقدي يتسبب في شيوع الخرافات والوسوسات.

٢- **التجديد يعكس احتياجات الواقع: تبدأ** جهود تجديد الخطاب الديني في مشروع "الخشت" من محاولة تفسير النص الديني في ضوء الواقع الجديد، وأن التجديد عملية تتناول قضايا الواقع المعيش التي تخدم المجتمع، وضرورة التخلي عن الخطاب الوعظى المنفصل عن حياة المسلمين. فمفارقة الواقع -من وجهة نظر الخشت- تعد أحد أسباب ظهور

"التطرف". فالمتطرفون في فهم الدين، يميلون إلى تفسير النص فى ضوء ثقافة رجعية تكوّنت عقولهم فى رحمها، وأصبحوا سجناء لمذاهب مغلقة لا يستطيعون تجاوزها إلى أية حقيقة أو واقعة ما خارج عقلهم الجامد المتخشب خارج حركة التاريخ، مهما كانت تلك الحقيقة ظاهرة وعينية فى الواقع الخارجى.

٣- **المعقول واللامعقول في النظر إلى الموروث الديني:** يتوجب أن تحكم قاعدة المعقول واللامعقول النظر إلى الموروث الديني، وضرورة التحقق من الصدق والاتساق الداخلي لأية وثيقة من التراث عن طريق البرهان العقلي، وكذلك التحقق من الصدق الخارجي عن طريق فحص التطابق مع الوقائع الخارجية، ويحمل هذا الاجتهاد البشري في تفسير النص -بحسب مشروع "الخشت"- قابليه الصواب والخطأ وعدم التمكن من إعلان الحقيقة المطلقة.

٤- **منطلق "الإصلاح هو أساس التجديد"**: يتناول مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" مسألة الإصلاح من المنظور الديني، ويؤكد أن دعاة الإصلاح ممن رفعوا شعار التجديد للنص الديني لم يقدموا محاولات لـ (تطوير علوم الدين)، وإنما قاموا بـ (إحياء علوم الدين).

٥- **التجديد يبدأ من "الشك المنهجي"**: وهذا المنطلق يمكن استخلاصه من تحليل تجربة نبي الله ابراهيم في الشك المنهجي والانتهاء منه إلى يقين. فمنهج أبى الأنبياء قائم على شك منهجى في البداية، ثم استدلال عقلى محكم مستند إلى ظواهر كونية تارة، ومستند إلى دليل من

(وقائع تجريبية) تارة أخرى، ومستند إلى حجة عقلية برهانية تارة ثالثة، وفى كل مرة الوحى حاضر مثل الضوء الذى ينير الطريق أمام العقل والحواس والبصيرة. لكل هذا لن ندخل عصرًا دينيًّا جديدًا بدون إصلاح مناهج التفكير لإحكام قيادة العقل نحو الصواب. فعبر التفكير الدينى المنضبط الذى يلح عليه القرآن الكريم، وأيضًا عبر التفكير العلمى الدقيق الذى تقدمه لنا مناهج البحث العلمى، يكون الخروج من حالة الشك المنهجى، من خلال الحصول على دليل عقلى برهانى أو بدليل استدلالى تجريبى أو سلطان حسى مبين، وليس بقول «ولى» أو «داعية» أو «أمير جماعة».

٦- **منطلق "عدم وجود تعارض حقيقي بين العلم والدين"**: يؤكد مشروع التجديد لدى "الخشت" على ضرورة الاستناد إلى العقل البرهاني الذي يعتمد على أدوات العلم، حيث تظهر أهمية البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتستفيد من المكتسبات العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتدع وراء ظهرها معارك الماضي، وتدخل في معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أي تفهم القرآن في ضوء القرآن.

ثانيًا- المنطلقات المنهجية لتجديد الخطاب الديني: تتمثل المنطلقات المنهجية لتجديد الخطاب في المداخل النظرية والزوايا والأدوات المنهجية التي يعتمد عليها المجددون للخطاب الديني في استخلاص أطروحاتهم في التجديد. وتمنح هذه المنطلقات الأطروحات ما يجب أن تتمتع به من وجاهة علمية ومعرفية وقدرة على الإقناع. وتتمثل أهم

المنطلقات المنهجية التي اعتمد عليها مشروع التجديد لدى الدكتور محمد الخشت فيما يلي:

١- **العقلانية والعقل النقدي:** يؤكد مشروع "الخشت" لتجديد الخطاب الديني أن كل محاولات مرتدى ثوب العقلانية في عالمنا العربى فشلت في الوصول إلى الجماهير وإيجاد صحوة ثقافية، وأغلب العقلانيين العرب أنفسهم ما هم إلا متعصبون أيضًا؛ لأن "عقلانيتهم غير محكومة بمعايير العقل النقدى، ومن ثم شاركوا في حالة «التجمد الفكرى» التي نحياها، فهم يقفون على الأقدام الفخارية نفسها التي يقف عليها «التجمد الدينى»، مثل: التقليد، والتعصب، والعقل المغلق، والاستئثار بالحقيقة، ونفى الآخر، وثقافة التسلط، وثقافة التآمر، والانغلاق على نظام قيم معين بصورة جامدة، وثقافة التبرير، وعدم الرغبة في فتح قنوات للحوار والبحث عن أرضية مشتركة راسخة.

٢- **المنهج النقدي في النظر إلى الموروث:** يتبني مشروع التجديد لدى محمد الخشت المدخل النقدي في النظر إلى الموروث، وذلك عبر الاعتماد على النقد التحليلي لأفكار وأطروحات التراث التاريخي أو التراث الفقهي أو كتب الحديث، ويذهب إلى أن تجديد الخطاب الديني الجديد يسعى للعودة في المعتقدات إلى الوحي وحده في إطار العقل النقدي الذي يميز بين حدود الإيمان الخالص من جهة، وعالم الخرافة والأساطير من جهة أخرى، فالوحي النقي المحتكم للواقع والتعقل يحرر المعتقد من

ضلالات الاهتزاز النفسي، وأوهام الوجدان، وخيالات النفس، والموروثات الشعبية، وخرافات الأساطير والسحرة ورجال الدين والكهنوت والديانات المحرفة والوضعية.

٣- **نقد آراء بعض المدارس المهمشة في التاريخ الإسلامي**:تبنى مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" موقفًا تحليليًّا نقديًّا من مدرسة المعتزلة؛ حيث يشير إلى أن المعتزلة –الفرقة الداعية إلى الحرية والعقلانية– استبدوا بالحياة الفكرية وخنقوا أصوات معارضيهم عندما كان منهم الوزراء والحاشية والخاصة المقربون من السلطة، وذلك فى عصر المأمون، وأجبروا الناس والمحدثين والفقهاء والقضاة والمدرسين على رأيهم في القول بـ«خلق القرآن»، وهى قضية دخيلة على الإسلام، ولم يتطرق لها القرآن ولا السنة الصحيحة ولا الصحابة، فمقاصد الدين هى عبادة الواحد وتحقيق المصلحة وإعمار الأرض، وليست هى البحث في: هل كلام الله قديم أم محدث، ويذهب "الخشت" إلى أن عقلانية المعتزلة لم تقم على فكر العقل البرهاني، بل كانت «عقلانية العقل الجدلى»، وذلك رغم أن حرية المعتزلة هى «حرية ميتافيزيقية» فقط تناقش علاقة الإرادة الإلهية بالإرادة الإنسانية على المستوى الغيبى، وليست «حرية فكرية واجتماعية وسياسية» على أرض الواقع، وليست حرية تؤكد حق إبداء الرأى وحق الاختلاف وحق الحياة الخاصة.

٤- "**النظرة التفكيكية إلى النص الديني**": يؤكد مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" على أن تفكيك الذهنيات العتيقة والمنظومات

الأسطورية" يعد الأداة الأبرز والأهم لتحويل النص الديني التراثي من استاتيكي ثابت إلى ديناميكي معاصر. وتظهر أهمية عملية التفكيك لتلك ذهنيات العتيقة؛ لأجل فضح معانى وتأويلات المتقنّعين بالدين. فالمعانى ليست مفتوحة بلا قيد ولا شرط، ومرونة النص فى كثير من مواضعه لا تعنى أنه لا توجد معان محكمة وموضوعية، ولا تعنى النسبية المطلقة للمعنى، ولا تستلزم ضياع الدلالة وسيولة المقاصد والأحكام، بل تعنى أن النص «حى وديناميكى»، وليس ميتًا أو استاتيكيًّا، فكلمات النصوص واضحة ومباشرة فى الآيات المحكمات، أما الآيات المتشابهات فهى التى تجعل النص متجددًا لملائمة تغير الزمان والمكان، وهنا دور الراسخين فى العلم الذين يملكون شروط الاجتهاد واستنباط الأحكام، فعلى الإنسان أن يسعى لمعرفة الحقيقة بالبحث فى الكتاب، والكون، وفى التاريخ والنفس، مستخدمًا مناهج البحث العلمى سواء فى العلوم الطبيعية والرياضية أو العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهى علوم –مرة أخرى– متغيرة ومتطورة بتطور الجهد والاجتهاد البشرى.

ثالثا– شبكة مصطلحات ومفاهيم "تجديد الخطاب الديني":

يتبلور الخطاب المتعلق بأية قضية من القضايا حول شبكة مفاهيم تدعم وتساند وتمهد لما يشتمل عليه من أطروحات. وعادة ما تتبلور شبكة المفاهيم حول مفهوم مركزي أساسي ينبثق عنه بعد ذلك مجموعة من المفاهيم الشارحة أو المساندة، بالإضافة إلى ذلك المفاهيم الأخرى الفرعية

الداعمة للمفاهيم الرئيسة التي يتحلق حولها الخطاب. وقد مثل مصطلح "الخطاب" مفهوما مركزيا في إطار الأطروحات الفكرية داخل مشروع التجديد الذي تبناه الدكتور "الخشت"، فتم شرح المقصود بهذا الخطاب ومسارات تجديده، وانبثق عن هذا المصطلح مجموعة مصطلحات أخرى تفسر وتوضح مفهوم (الدين) و(الإيمان)، واتجه الخطاب بعد ذلك إلى تحديد مجموعة المصطلحات التي تفتح الأفق لتجديد وتطوير الفكر الديني، مثل مفهوم (العقل) ومفهوم (الحرية)، وتمثل هذه المفاهيم مقدمة أساسية تفضي إلى النتيجة المطلوبة والمتمثلة في تدشين (عصر ديني جديد) والوصول إلى هذا العصر يتطلب الجرأة في (تفكيك الخطاب الديني) التقليدي وكشف (المغالطات) التي يعتمد عليها و(التأويلات المغرضة) التي يستند إليها وتكريس نظرة موضوعية عقلانية إلى (التراث) تؤدي إلى نزع (القداسة) عن الإنتاج (البشري) الموروث. وسنتناول فيما يلي النتائج التفصيلية المتعلقة بكل مصطلح من المصطلحات التي تحلق حولها خطاب التجديد والمفاهيم التي يعبر عنها في مشروع "الخشت":

١- **<u>مفهوم التجديد في الخطاب الديني</u>:** يتبنى مشروع "الخشت" رؤية تذهب إلى أن دعاة الإصلاح ممن رفعوا شعار تجديد الخطاب الديني لم يقدموا محاولات لـ (تطوير علوم الدين)، وإنما قاموا بـ (إحياء علوم الدين)، وأن تجديد الخطاب الديني يبدأ من فكرة دحض أكذوبة (الحقيقة المطلقة) و(التأويلات المغرضة)، وهي تلك المرتبطة بأصحاب العقل

المغلق (الدوجماتيكي) وذلك من خلال تفكيك الخطاب الديني التقليدي، وإحداث ثورة علمية حقيقية تقوم على التعليم والبحث العلمي الذي يسعى لتعليم الناس طرائق التفكير والانفتاح والمرونة وترسيخ مفهوم المواطنة.

٢- **مفهوم الدين:** يربط مشروع "الخشت" في سياق تحليله لمفهوم الدين بين «الرؤية اللاهوتية غير العلمية للعالم» التي تجد أقوى زخم لها في التقليد والاتّباع الأعمى، زعم امتلاك الحقيقة المطلقة في الدين والفقه والتفسير والسياسة، مرجعًا سبب ذلك إلى حالة التراجع العامة، والتطرف الدينى والسياسى الذي يكمن في هذه الرؤية المحكومة بالتقليد والتبعية المطلقة –دون عقل نقدى– لبعض العلماء أو الدعاة، والطاعة العمياء لقادة الجماعات، دون تحمل مسؤولية التعامل المباشر مع القرآن والسنة الصحيحة.

٣- **مفهوم العقل:** يميز مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت" بين العقل البرهاني الذي يعتمد علي أدوات العلم، والعقل المغلق، الذي يرى إنه ليس سمة للمتشددين فى الدين فقط، بل سمة أيضًا للفوضويين الذين يريدون أن يفرضوا رؤيتهم للحياة على الجميع دون مسؤولية ودون شعور بالتزام تجاه المجتمع، وبقدر رفض التطرف فى التشدد والتحريم، يكون رفض الإفراط فى الإباحية والتحلل من مصفوفة القيم الإنسانية.

٤- **مفهوم عصر ديني جديد:** وهو العصر الذي يقوم على ركيزة تبني منهجية **الشك المنهجي** و"الذات المفكرة" في التفسيرات القديمة للنص

الديني وتعني هذا المنهجيات لدى مؤلفها ما يسميه مؤرخو الأفكار (الكوجيتو الديكارتي) ويوحي هذا الكوجيتو بأن الفكر له الأسبقية المنطقية في الخروج من الشك والوهم إلى المعرفة الصحيحة والمنضبطة، وأنها كما يقول ديكارت أهم وأوثق معرفة تعرض لمن يدير أفكاره بترتيب، وهو ما يؤسس في فهم الدين والاجتهادات البشرية إلى اتباع "المعرفة المنضبطة" التي لا بد أن تكون نتيجة طبيعية لكل من يعمل عقله بمنهج دقيق طبقا لمعايير موزونة.

٥- **تفكيك الخطاب الديني:** تفكيك الخطاب الديني غايته تطوير علوم الدين لا إحيائها، وهو يبدأ من الاتجاه نحو تغيير المنظومة التفسيرية التي ابتعدت عن غايات الدين وأنتجتها الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المغايرة لعصرنا الذي نعيش فيه. والتفكيك المقصود هو التفكيك المنهجي الذي يؤدي إلى الاعلاء من قيم الاستنباط والاجتهاد وإعادة الاجتهاد، وعدم النكوص على الأوامر الإلهية، وعدم وأد مقاصد الوحي. ويتجلى معنى التفكيك في خمس مراحل أساسية تبدأ أولا بإعلاء هدف أن التفكيك وغايته تطوير علوم الدين لا إحيائها، وهو يبدأ من الاتجاه نحو تغيير المنظومة التفسيرية التي ابتعدت عن غايات الدين وأنتجتها الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المغايرة لعصرنا الذي نعيش فيه، وثانيا: التفكيك المقصود هو التفكيك المنهجي الذي يؤدي إلى الإعلاء من قيم الاستنباط والاجتهاد وإعادة الاجتهاد، وعدم النكوص على الأوامر الإلهية، وعدم وأد مقاصد الوحي، وثالثا: الإقرار بمنهجية عدم التنكر للنص الإلهى، وأن التفكيك المقصود في إطار ذلك يقوم على عماد

الدين وهو النقد والتحليل العقلاني، ورابعا: تفكيك المرجعيات المغلقة للوصول إلى الدين في حالته الطبيعية الأولى التي اصطنعها التطرف والاستبداد وتلك التأويلات البشرية التي اصطنعها فقهاء السلطان، لأجل تأويل جديد في فهم الدين يأخذ بأسباب الاجتهاد، وخامسا: تفكيك المعاني الأسطورية المزيفة للنص المركزي.

٦- **مفهوم المغالطات:** تنشأ المغالطات داخل الخطاب الديني عند الخلط بين ما هو بشري /إلهي، وعدم التمييز بين الثابت والمتغير في الأحكام الشرعية، وبين قطعي الدلالة وظني الدلالة منها، وبين المحكم والمتشابه في القرآن (النص الديني)، وأيضا عدم التمييز بين الأحاديث المتواترة والأحاديث الآحاد، والأحاديث الصحيحة النسبة إلى الرسول الكريم والأحاديث الضعيفة والموضوعة كذبا التي يظهر بعض منها في الطقوس والمظاهر التي تؤسس لفهم الدين وتجعله كحقائق نهائية ومؤسسة وكهنوت يركز على الطقوس والمظاهر أكثر مما يركز على نقاء الضمير والفضيلة واتساق الظاهر والباطن ويركز على الشكلي والسلطوي والقهري أكثر مما يركز على الجوهري والعقلي والإنساني.

٧- **مفهوم التأويلات المغرضة:** ترتبط التأويلات المغرضة -في مشروع تجديد الخطاب الديني لدى "الخشت"- بأصحاب العقل المغلق (الدوجماتيكي) الذين يقدمون خطابًا يتجاهل قضايا التنمية والفساد والحرية والديمقراطية والجهل والأمية ويركز فقط على معارك التكفير وفقه الحيض، ويستغلون آفة القطيع التي تحارب فكرة فهم النص الديني الأصلي (القرآن)

بالعقل، من خلال إحداث ثورة علمية حقيقية تقوم على التعليم والبحث العلمي الذي يسعى لتعليم الناس طرائق التفكير والانفتاح والمرونة وترسيخ مفهوم المواطنة.

٨- **مفهوم التراثيين:** من مصطلح "التراث" اشتق محمد الخشت مصطلح "التراثيين" ليعبر به عن المفكرين والدعاة المعاصرين الذين استنجدوا بالفرق القديمة مثل الخوارج والروافض أو غيرهما، وبعض الحداثيين العرب الذين يستدعون فرقًا أخرى نقيضة مثل "المعتزلة". فالتراثيون يستدعون فرقًا بعينها، وهكذا نستمر مرابطين في حرب الخنادق القديمة التي تخندقت فيها الفرق العقائدية. وأرجع "الخشت" ثبات استمرار حالة التخلف في فهم مقاصد الدين إلى عدم قيام الجهود الحثيثة الفاعلة في تنقيح التراث مثل كتب بعض الفقهاء مثل الغزالي ومنهجيته في كتاب (إحياء علوم الدين) التي أدخلت في الدين ما ليس منه اعتمادا على أساطير وإسرائيليات وأحاديث ضعيفة وموضوعة وروايات عن بعض السلف غير متحقق من صحتها.

٩- **مفهوم تقديس البشري:** يتحفظ مشروع "الخشت" لتجديد الخطاب الديني على تقديس الاجتهادات التي قدمها المفسرون القدامى للنصوص الدينية؛ لأنها في النهاية اجتهادات بشرية. وتعني عملية التقديس تلك تحويل فهم الدين من محاولة مفهومية تحاول تفسير النص الديني قد تقبل الخطأ أو الصواب من منظور صاحبها إلى جعلها منظومة ملتصقة بقداسة النص الديني الأصلي لا تقبل التغيير ومحرم المساس بها.

١٠- **مفهوم الدولة المدنية:** يظهر مفهوم الدولة المدنية في سياق مشروع "الخشت" عند الحديث عن تجديد مساحة الأخلاق داخل الخطاب الديني، وأهمية تكريس أخلاقيات التسامح والتعايش وقبول الآخر عبر هذا الخطاب، وضرورة استعادة هذه المفاهيم المدنية وتقنينها فى الدستور والقانون وتوسيع نطاق دورها وتدريب الناس عليها، حتى يتحولوا إلى كائنات حرة مسؤولة دون قهر أو إقصاء، وأيضًا دون فوضى أو عشوائية.

رابعا- أطروحات "تجديد الخطاب الديني": تبلورت أفكار ومقولات تجديد الخطاب الديني داخل مشروع تجديد الخطاب لدى الدكتور "الخشت" في عدد من الأطروحات التي عكست مجموعة المسارات التي يجب أن تسلكها جهود التجديد، فهي تبدأ بمعالجة عدد من الأطروحات التأسيسية، يتمثل أولها في الدولة المدنية التي تمثل الهدف الرئيس لجهود التجديد، وتتحرك الأطروحات بعد ذلك إلى مجموعة المرتكزات التي يقوم عليها المجتمع المدني والمتمثلة بشكل أساسي في أطروحة التعايش الثقافي والحضاري المشترك داخل مجتمع يعلي من حقوق المواطنة ويتمتع فيه الجميع بفرص متساوية، وثقافة تحترم حالة التنوع وتمزج بين التنوعات الثقافية المختلفة التي تعيش فيها، وقناعة لدى الجميع بأن العطاء العلمي هو أصل تقييم البشر وليس عقائدهم. ويبدأ مسار التجديد بإصلاح المؤسسة الدينية ودفعها إلى المساهمة في جهود التجديد، وأن تمتلك الدولة -وكذلك المجتمع- الجدية المطلوبة للإصلاح بعيدًا عن أية اعتبارات

مصالحية، لتجاوز المعوقات القانونية والاجتماعية لتجديد الخطاب، مع التأكيد الكامل على رفض أي نوع من أنواع التوظيف السياسي للدين، انطلاقًا من التأكيد على مبدأ مدنية الدولة والمجتمع. وتتحدد أطروحات تجديد الخطاب الديني داخل مشروع "الخشت" –تفصيلًا– فيما يلي:

١– **أطروحة "الدولة المدنية"**: ينبه مشروع تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور محمد الخشت إلى ضرورة استعادة القيم والمفاهيم المدنية وتقنينها في الدستور والقانون ونشر ثقافتها بين الناس، من منطلق أن هذه القيم تشكل أساسًا لكل أفكار النهضة التي تم تداولها طيلة القرنين التاسع عشر والعشرين.

٢– **أطروحة "الدين لا يتناقض مع الاجتهاد والإبداع"**: فكثيرًا ما ينشغل العقل المسلم بمعارك ساذجة وهامشية مثل معارك التكفير والهوية، ومعارك فقه الحيض والجنس والجسد، ومعارك التمييز بين الجنسين، وقليلًا ما يشتبك مع المعارك الجديدة والجدية: معارك التنمية، ومعارك إنتاج العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والإنسانية، ومعارك الفساد، ومعارك الحرية، ومعارك الفقر والجهل والأمية، ومعارك الدفاع عن الدولة الوطنية. ويؤكد مشروع "الخشت" على الاجتهاد كفريضة لا بد أن يلتزم بها المسلم، وأنها تعد المؤشر الأهم على تجاوز عتبة العقل المغلق، كما أكد على ضرورة إزالة القداسة عن الاجتهادات البشرية الموروثة، وأن يتم ذلك من خلال عملية **(التفكيك)** الذي يُطرح ليس للدين نفسه، إنما للفكر الإنسانى

الدينى الذى نشأ حول «الدين الإلهى».

٣- أطروحة "التخلي عن التفسيرات التراثية الجامدة للنص الديني": يذهب محمد الخشت إلى أن البداية الصحيحة لتجديد الخطاب الديني تفرض التخلي عن فكرة "جمود النص الديني" فهو نص دينامي يختلف تبعًا لظروف الزمان والمكان. فلا زالت الأفكار التي اشتملت عليها صراعات الفرق القديمة المتناحرة الذى يملأ علم الكلام تحكم العقل الجمعى، وهو أحد الأسباب الرئيسة فيما تعانيه أمتنا اليوم؛ مما يدعو إلى التفكير جديًّا فى تجاوز هذا النوع من التراث التناحرى. كيف؟ عن طريق إعادة استئناف النظر فى تفسير العقائد فى حدود العقل البرهانى الذى يعتمد أدوات العلم، ومن هنا تظهر أهمية البحث عن فلسفة جديدة للدين تتجاوز علم الكلام، وتستفيد من المكتسبات العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتدع وراء ظهرها معارك الماضى، وتدخل فى معارك العصر بأدوات عصرية، وتفسر الكتاب بالكتاب، أى تفهم القرآن فى ضوء القرآن.

٤- أطروحة "استخلاص المقاصد أساس فهم النص القرآني": يتبنى مشروع "الخشت" أطروحة أن فقه المقاصد هو الفقه الذي يجب أن يحكم رؤيتنا وفهمنا للنصوص الدينية، وعلينا أن نفتش في التراث عن النصوص التي دعمت فكرة البحث عن "المقاصد". ومن نماذج التفاسير التى قدمت نموذجًا من أفضل ما يكون فى فهم الكتاب فى ضوء الكتاب نفسه وروحه ومقاصده، تفسير الفخر الرازى «مفاتيح الغيب» المعروف بالتفسير الكبير. لكنه للأسف غير منتشر بين الناس على الرغم من أنه مطبوع أكثر من

مرة. ويمكن القول إن كثيرًا من الدعاة لا يقوون على قراءته. ويلجأون في المقابل إلى تفاسير سهلة لكنها مشتملة على إسرائيليات. والعجيب أن كثيرًا من الدعاة والشيوخ يعرفون هذه الحقيقة، لكنهم يستسهلون ويريدون الاستشهاد بـ«حكايات» يدغدغون بها مشاعر العامة، ومرويات تقص العجائب والمفارقات، أما «الأفكار» فلا أحد منهم قادر على متابعتها أو إجبار ذهنه على فهمها ونقلها للناس.

٥- **أطروحة "تفكيك التراث إلى عناصره البسيطة ورده إلى أصوله النقية":** التفكيك الذى يحتاجه الخطاب الدينى ليس تفكيكًا يتنكّر لكل «مركز»، مثل التفكيك الجذرى فى مرحلة «ما بعد الحداثة»، وإنما هو تفكيك يريد العودة للمراكز الأولى للعلم والفكر والدين، وبهذه العودة سوف يتم الالتقاء مباشرة مع الدين الأول الخالص فى نقائه وخصوبته الأولى، وبالتالى سوف تنهار كل المراكز المزيفة التى اصطنعها التطرف والاستبداد، كما سوف تنهار كل التأويلات البشرية التى اصطنعها فقهاء السلطان وفقهاء البحث عن السلطان. وهنا تصبح الأرض ممهدة لتأويل جديد يأخذ بأسباب الاجتهاد ويأخذ بأسباب العصر. إن حالة الجمود المطلق على المنظومات القديمة ليست مجرد جاهلية جديدة تعجز عن مواكبة العصر، بل خروج عن حركة التاريخ.

٦- **أطروحة "إصلاح المؤسسة الدينية":** يفسر مشروع "الخشت" حالة الجمود الدينى الذى تعيشه أمتنا بأسباب كثيرة، أهمها حالة (التقليد المطلق) للآراء والمذاهب والجماعات؛ فالتقليد عقبة كبرى أمام التجديد

الدينى، وهذا هو السبب في بناء قصور من الوهم تعيق النظر والتواصل مع الواقع الحى، والمقلد لا يرى الفكر الدينى إلا بناء حديديًّا غير قابل للتطور والتحديث، وغير قابل لإعادة الفهم وفق ظروف الزمان والمكان وما يستجد من أحوال أو يتبدل من متغيرات.

٧- **أطروحة "روح القطيع والتوظيف السياسي للدين"**: يشير محمد الخشت إلى خطورة سيطرة "روح القطيع" على المجموع، وهي الروح التي يتم الانسياق فيها وراء جماعات لفهم مقاصد الدين دون إعمال للعقل بلا تفكير أو مراجعة، ووفقا لمنهج السمع والطاعة دون إعمال العقل ودون الاستناد للمعرفة القائمة على البراهين المحكمة، بما في ذلك من مخاطر يمكن أن تترتب على حشد الجموع في لدعم اتجاه أو فصيل سياسي معين.

خامسًا- القوى الفاعلة في "تجديد الخطاب الديني": يتحدد مدلول القوى الفاعلة في مشروع تجديد الخطاب الديني لدى الدكتور محمد الخشت في الأفراد والجهات والمؤسسات التي يمكن أن تلعب دورًا في تطوير الفكر الديني وتجديد مقولات وأفكار الخطاب الديني، أو تعويق هذه العملية. وتتحدد هذه القوى في:

١- **المؤسسة الدينية**: يتبنى مشروع "الخشت" وجهة نظر تذهب إلى أن بعض المشايخ والعلماء من المنسوبين إلى الأزهر يقتاتون من السيطرة على العقل المسلم بالأوهام، ويجعلون بينهم وبين الوحي المقدس النقي عتبات من الروايات الخرافية، ويجعلون بينهم وبين الكون المنير عتبات من

عوالم الظلام اللامرئية، ويروجون للأساطير على أنها وحى إلهي، ويستشهدون بأحاديث منسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم، بعضها ضعيف السند، وبعضها معارض للقرآن الكريم، وربما يكون بعضها صحيحا لكنه لا يصل إلى شرط المتواتر الذى يعتد به في مجال العقائد، ويقدسون النصوص البشرية بالموروث، يقدسون فرقهم الدينية وأئمتها، ويتبعون منظومات عقائدية وضعها بشر وفق طريقة فهمهم الخاصة للوحي.

٢- **العلماء والأئمة:** يتبنى "الخشت" في هذا السياق وجهة نظر تذهب إلى أن أئمة الدين التقليديين، يروج بعضهم للأساطير على أنها وحى إلهي، وآراؤهم مبنية على أحاديث ضعيفة وموضوعة غيبت كثيرا من العقول، وسيطرت آراؤهم على قطاعات كبيرة -من عامة المسلمين- وتسببت في إضعاف النظرة العلمية للكون لصالح النظرة الأسطورية، ويتجرأون على الحديث عن عوالم لا نراها وليست تحت تجربتنا، واستندوا في فكرهم الأسطوري إلى أخبار وروايات مرسلة ومكذوبة، وأحاديث ضعيفة النسبة إلى الرسول، ويستدل بعضهم بأحاديث آحاد فى أمور عقائدية، ووقع بعضهم في خطأ الترويج لقداسة أقوالهم والحديث باسم الله، ورفع بعضهم راية المعقول والمنقول وتوسعوا فى الاستدلالات والاستنتاجات فى الأمور الغيبية، وتمترس بعضهم وراء خطاب تراثى تقليدى مملوء بالغث والثمين، وتجاور فيه الأسطورةُ العلمَ، وتجرأ بعضهم على إدخال الله سبحانه وطبيعته وقدراته طرفا في المقارنة مع الإنسان.

٣- **عموم المسلمين:** ويرى محمد الخشت أن عامة المسلمين يقعون في التقديس المزيف الناجم عن الترويج فى الخطاب الدينى التقليدي، ويقدسون كلمات تصدر عن شخصيات بشرية تخطئ وتصيب لمجرد انتمائها لفرقة دينية أو زعمها لامتلاك علم الأولين/ تسيطر المرويات الأسطورية على عقول قطاعات كبيرة منهم.

هذا الكتاب:

يركز هذا البحث الأكاديمي " الطريق إلى عقل ديني مستنير " على مشروع تجديد الخطاب الديني الذي قدمه المفكر المجدد الدكتور محمد الخشت عبر عدة عقود ، و يخضعه للفحص والبحث بهدف استخلاص الرؤية الحاكمة له و خريطة ملامحه و معالمه ، وذلك من خلال تحليل ما قدمه المفكر المجدد من مؤلفات ، أو أوراق بحثية ، أو مقالات صحفية ، أو مقابلات إعلامية ، بصورة تمكننا من أن نضع أيدينا على أهداف المشروع و غاياته ، و مساحات التجديد التي انشغل بها ، وشبكة المفاهيم الرئيسية والفرعية التي تحلق حولها ، و مجموعة الأطروحات التي استند إليها ، و وسائل و أدوات المشروع في التجديد ، و القوى الفاعلة (أفراد و مؤسسات) المسئولة عن إنجاز مهمة التجديد ، و الأدوار التي يتوجب عليها القيام بها ، و المعوقات التي تحول بينها و بين تحقيق هدفها .

وقد اختار الكتاب أن يتصدى بالتحليل لمشروع تجديد الخطاب الديني لدى " الخشت " ، نظراً لما يتميز به من تكاملية ، مقارنة بمشروعات التجديد التي أنتجتها النخبة الجامعية على مدار العقود الماضية ، و تتجلى هذه التكاملية على مستوى المنطلقات النظرية و المنهجية المؤسسة له ، و المفاهيم و الأطروحات التي تنسج أفكار التجديد التي يشتمل عليها ، بالإضافة إلى انطلاق المشروع من تعريف دقيق و منضبط و متوازن لمفهوم التجديد .

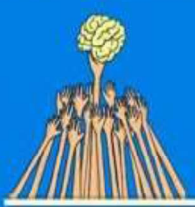

أ. د. محمود خليل

الأستاذ بكلية الإعلام- جامعة القاهرة

تصميم إيمان حكيم

9 789778 688559

rawabet روابط للنشر وتقنية المعلومات
For Publishing & Information Technology